هاجر.ح

وردة سوداء

هالفيتي

بسم الله الرّحمن الرّحيم

تأليف : هاجر .ح
الغلاف من تصميم الكاتب
البريد الالكتروني :

hhhadjer0@gmail.com

لمن أهدي هذه الكلمات إن لم أهدها لنفسي

كلام من القلب إلى نفس القلب ، من مشاعري إلى مصدرها ، ومن أفكاري إلى العقل الذي أنبتها ....

أوه ، لا ! تبعثرت الأفكار منذ البداية !

إهـداء :

إلى صديقتي التي ألهمتني وشاركتني حزني

إلى أوراقي وقلمي ..... وقد أثقلت عليهم بكلامي

عذرا .. فأنا بريئة من هذا ، إنّه مجرّد كلام تفوّه به قلبي ، لا دخل لي !

إلى من خسرني بكلامه المعتوه ، إلى كلّ من تجرّأ على لمس مشاعري ، إلى كلّ من جعل اللّيل مصبّ بحر دموعي ، إلى كلّ من واجه صدقي بمكر ، وأمانتي بخديعة ، وحبّي بكره ، وصداقتي بعداوة ، إلى كلّ من تلبّس الأقنعة في وجهي ونسي أن الأعمال بالنّيات ، لا تفرحوا كثيرا ، فأنا قويّة ! ، وطيّب القلب لن يخيب ، والمعتصم بحبل الله لن يخيب ، والصّادق الأمين لن يخيبّ ، ومحبّ الخير للنّاس لن يخيب ، وصاحب الحقّ لن يخيب ..

هل سمعتم جيّدا ؟ أجل لن يخيب !

يا من سمحت للحزن أن يسكن قلبك ، هوّن عليك ، يا من أيقنت أنّه لا خلاص من الشّعور بالنّدم ... أنا مثلك ، فلتمض قدما وأعد بناء نفسك بنفسك ، ما ضاع منك ستعوّضه بالأفضل ، فقط كنت متفائلا وابتسم !

هذا الكتاب ..... إهداء من نفسي إلى نفسي ، لا نيّة لي إلا في التّعبير عن ما يجول في هذا العقل ، وما يقطن داخل هذا القلب ...
أرسل كلماتي هذه ، وأعرضها أمامك ....من تشاركني مشاعري هذه لا أخاطبكم يا أصحاب العشرينات والثّلاثينات ... أنا أخاطب الذين يسيرون في طريقي ، الذين يعيشون هذا السن المرهق ، الذين وقفوا عاجزين أمام هذه الفترة ، لا عقولهم تفكر ، ولا قلوبهم تدرك ماتفعله ، أنا الآن ... أنطق بلسانك ... إن كنت عاجزا عن قراءة أفكارك سأحدّثك بها ، فالمسموع أوضح !
قد يبدو الأمر سخيفا في نظرك أيّها البالغ ، لأنك بالفعل تجاوزت كلّ هذا وعشت نفس التّجربة ، ثم اتخذتها هزؤا ..
والآن دورنا نحن ... ولنا الحقّ في التّعبير عن ما يجول في خاطرنا ، فالأمور تغيّرت والموازين انقلبت ، الأفكار تشتت ، القلوب عمت وغفت ، نحن نعيش في دوّامة من الأسئلة والغموض ، لا ندرك مالذي نفعله ، نسلك طريقا مبهمة ، وحده الوعي والتّفكير ... قادر على أن يجعل الأمور في قبضتنا ، يمكننا التّحكم في أنفسنا ان فكّرنا بشكل جدّي .... لم أرو هذه القصّة لأحكيها ... فلست وحدي من تدمّر قلبه لأجل لا شيء ، ولست وحدي من آمنت بتلك الأمور التّافهة ، لكنّني وبعد حين .... أدركت أخطائي ، وتحطّمت لشعوري بالذّنب ، فكتبتها !

مقدمة

هذه ليست رواية أدبية لأديب معروف ... ولا حتّى كتابا علميًا . لستُ أمْتلك الخبْرةَ الكافيةَ لأُسديَ النّصائح ، لكن ... لديّ القدرة لأكتُب ما يجولُ في خاطري..

هذه ليستْ سِوى أسْطرٍ معدودة كتب فيها قلمي ما يُضمره قلبي ، ولا يزال يُضمر الكثير ..

من حقّي أنْ أفعل ما أُحبّ فعله ، وها أنا مجددا أخاطب أوراقي البيضاء ، أجعلها تنصت لأفكاري حتّى وإن كانت مزعجة أو غبيّة .

كتبت في هذه المؤلفة البسيطة ، باقة من الحوادث الّتي جعلتني أدرك الحياة جيّدا ، تعلّمت الكثير ولا زال الكثير ، و أنت أيضا ستجد لك إفادة فيها ، الحياة محض تجارب ، ومن التّجارب نحصد الكثير من العبر ، هذا إن استخدمنا عقولنا بشكل جيّد ...

الآن ، أنا في فترة من العمر .. أصعب فترة ، وهي حتما لا تخلو من تجارب الحياة القاسية ، لاسيما عندما أتّحدّث عن الأحاسيس ، ولا أحد ينكر ذلك ، ربّما ... عندما أكبر وأعيد قراءة ما كتبته في هذا السّن ، عندما أتذكّر ماذا فعلت و بما شعرت ،

عندما أتذكّر أي جرم ارتكبته في حق نفسي .... سأضحك ولن أمنع لتلك الابتسامة أن تُظهر نفسها ، يومها ...سأنظر إلى الأمر بسخريّة ، أعلم هذا جيّدا .

بغضّ النّظر عن هذا العنوان الذي يحمل خلفه الكثير والكثير من الغموض ، أو عن مشاعري التي تلطّخت بهذا اللّون القاتم ، حقا لاتعلمون أيّ مقدار من السّعادة يخفيه قلبي ، لكنّني غريبة بطبعي ، أنا شخصيا لا أتمكّن من فهم نفسي في كثير من الأحيان ، فكيف لي أن أفسّرها لكم . لذلك ، لا تتعجّبوا إن لاحظتم التّناقض الواضح ، ولا تستغربوا إن قلت شيئا وأتيت بضدّه ، فلولا أفكاري المشوّشة ما الدّاعي إذن لأخاطب أوراقي ، لو كان كلّ شيء واضح أمامي ماكنت لأدّخر هذا الجهد لأحاور نفسي بهذا الشّكل ...

إليك يا صديقتي ... هالفيتي !

لماذا اخترت هذا الاسم لمؤلفتي ؟ ولِمَ بالتّحديد هو ؟ أوّلا ... هل تودّون التّعرف على صديقتي هذه ؟ أسئلة كثيرة ستراودكم .

"هالفيتي " هو المصطلح التّركي أو الاسم الأصلي للوردة السّوداء ، نحن الآن في المضمار الأدبي ، لكن لا مانع أن أستغلّ هذه الأسطر لأعبّر فيها بأسلوب علمي . هذه ليست مجرّد نبتة ، وإنّما أرقّ نوع من النّبات ، إنّها زهرة ، وليست مجرّد زهرة ، بل هي وردة وحيدة في هذا العالم بأسره ... يحميها مكان وحيد ، حقول شاسعة تعرف بحقول الورود السّوداء في قرية صغيرة موجودة في "أورفا" التّركية ... هذه هي المنطقة الوحيدة التي تتواجد فيها ...

ورغم لونها الأسود ، وأعني شديد السّواد ، إلاّ أنّ جمالها سيذهب بعقلك إلى حيث لا رجعة ، وستنبهر فعلاً من روعة الخالق ، فسبحان من سوّاها .

من بين كلّ ماراود ذهني ، اخترتها لأنّها تشبهني كثيرًا ، نادرةٌ أنا تماما كتلك الوردة ، جميلة ورقيقة لكنّ مشاعري تلطّخت بذاك اللّون الكئيب ، ومميّة في مكان بعيد ، أعني قلب صادق ، ومنفرد أيضا .

أشعر بالفضول الذي تملّككم ، لذا لا مانع في أن أفصح لكم عن المزيد..
في لحظة ما ..كانت مشاعري مبعثرة لم أدرك هل حزن أم سعادة ، ولطالما كنت أكتب وأكتب كلّ ما ضاق بي الحال ، لكن في أوراق مشتّتة ، أفكاري لم تكن منظمّة على الإطلاق ، لم أفكّر في شيء سوى أن أفصح عن مشاعري لتلك الأوراق فقط كي تنطفئ نار قلبي ، سواء كان سعيدا أم حزينا ...

لكنّي رأيت تلك الوردة في مقال علمي بالصّدفة ، قرّرت أن أنّظم أفكاري ، أن ألمّ شمل أوراقي المبعثرة ، كانت كلماتي كلّها حزينة في ذاك الوقت ، لم أرد تذكّرها أبدا ، لكن ، ألا تبدو هذه الوردة حزينة ؟ لكنّها لم تسمح للحزن أن يشتّت جمالها ، ولا زالت تضمّ بتلاتها ، وأنا أيضا يمكنني فعلها ، فهي الآن رغم كلّ شيء تربّعت على عرش الجمال ، وتفتن كلّ عين تراها ... كلماتي كذلك ، بلباس أسود حزين ، لكنّ جمالها ورقّتها يجذب قلب القارئ ، و إن كانت خبرتي قليلة ، وإن كان اسمي مجهولا ، وإن كنت مجرّد طفلة ، لاأهتمّ، لا يهمّني إن كانت أفكاري طفوليّة ، أعلم جيّدا كم الطّريق طويل أمامي حتّى أكتسب الخبرات الكافية ، لكنّني أدرك جيّدا أنّني بالغة في تفكيري ، وأعلم أن كلّ ما كتبته صادر

من قلبي ، يكفي أن يفتح الأدب بابه لي وأن يترك لي الحريّة في التّعبير عن مشاعري ، و لعقلي المجال الواسع ليطرح أفكاره ...
لا أملك هدفا لتقليد الآخرين ، ولا لمنافسة الأدباء ، ولا لكسب الشّهرة ، لست متحمّسة لأصدر كتبا تغزو العالم .....
أعرف حدّي جيّدا ، لكنّني ، وبكلّ ثقة ، أعاهد نفسي أن لا أترك هذا الشّغف ، سأكمل دراستي وسأصير أكثر حكمة ، سأتعلّم من الحياة دروسا أكثر وسأمّر بتجارب أخرى ، وسأواصل الكتابة بالتّأكيد ، فبمجرّد أن ألمّ شمل أفكاري ومشاعري ، وأجعل لها مأوى خاص بحيث أرجع إليها متى أردت ذلك ، أمر جميل بالنّسبة لي ..
كما أخبرتكم سابقا ، عشقي لهذه الوردة ...منحني إلهاما لا حدود له ، قد يكون الأمر سخيفا أو مبالغا فيه ، لكنّه مهم جدا بالنسبة لي .

جميلة أنتِ .. فلا تفزعي من لونكِ ، أيّتها السّوداء تألقي ، فوسط بساط الألوان ذاك .. أنت تلمعين ، جمالك مختلف لكنّه فتّان ، أنت لك سحر خاص لن يشاركك فيه أحد ..

وهل سوادك لطّخ روحك العذبة ؟ لا تحزني ، فهو لم يزدكِ إلّا جمالا ما بعده جمال ، و رقّة ما بعدها رقّة ، كم من اللّطف تحملين في قلبك ، وراء بتلاتك الدّاكنة ، و كم من الحنان يختبئ وراء الصّبغة المزيّفة ... لا تُبدي عيون الناس اهتمامكِ ، يرونكِ من بعيد فينتقدونك ، ثمّ والأكثرُ من ذلك ، يعتبرونك حظا سيئا أفسد يومهم ، وهم يجهلون أنّك الحظ الجيّد بعينه ، وفي طريق العودة ، يقتربون أكثر ، فتقشعّر أجسامهم وتلين قلوبهم ، عندما يرونك عن قرب ، يفتحون أفواههم تعجّبا ودهشة لجمالِك ، ثم يُغرمون بروعة الخالق ، لقد كانوا مخطئين في البداية ، فهم لا يحكمون سوى على المظاهر التي تلمحها أعينهم من بعيد ، لا يكلّفون أنفسهم عناء أن يتقربوا أكثر من جوف شيء ، ليدركوا حقيقة باطنه ...

تُرى ، ما سبب هذا الغموض الذي أراه في عينيكِ ، أم أنّ في داخلكِ شيئا تريدين البوح به ، اقتربي مني أكثر ، تكلّمي ، أعلم بأننا متشابهتين وأعلم بأننا نحمل ذات الشّعور ، لذا .... لا تخافي ولا تحزني .

وهل أنا جاهلة كي لا أدرك ذلك ، من نظرتي إليكِ أفهم كل ما ترغبين بقوله ...

أعلم جيّدا ، لما تكدّس هذا اللّون على جدرانك النّاعمة ، إنّه الدَّهر يا حبيبتي ، المشاعر يئست من البقاء في القاع ، فأبرزت نفسها للعالم ، الكتمان قاسٍ جدا ، ويصبح قاسيًا أكثر عندما يتعلّق بسرّ حزنكِ الذي أخْفيْتِه ، يكفيكِ الآن ، أفصحي عن ما في داخلكِ وارتاحي ، تحرّري من هذا القيد اللّعين ...

إنّه الحزن إذا سيطر على صاحبه ، الْتهمَ ماتبقّى مِن الألوان في عالمه ، ولم يتبقّ سوى سماءٍ مظلمةٍ كسَتْ جانبك المنير...

إنّه الإهمال يا صغيرتي ، الإهمال ، إذا غاب الاهتمام غابت معه روح الحياة ، وفقدتِ طاقتكِ في المقاومة ، الإهمال مجرّد كلمة خفيفة على اللّسان ، وأيّ ثقل تحمله على القلب ، خصوصا وإن صدر مِمّن ظننّاه الحياة بعينها ، هل أنا مخطئة ؟ أليس هذا هو سبب تلك الإشراقة المظلمة بالفعل ؟

أعلم أيضا ، سبب تلك الإطلالة الطّيبة ، أنت .. لاتريدين أن يُكسر قلبٌ كما حلّ بك ، لذا ، أنتِ تجعلين العيْن التي تراكِ تبتسم ، آه كم

أنت رائعة ، تلُمّين شمْل القلوب بعد عجزكِ عن لمّ شمْل نفسكِ ، توهمين النّاس بسحرك فيبتسمون رغما عن أنوفهم ، وكم أنا معجبة بك .

وذلك المظهر الجذّاب يا صغيرتي ، ما خطبه؟ ومن أين أتى ؟ أدرك ما تفكّرين به ، أنت تجذبين النّاظر إليكِ ، كيْ لا ينخدع بمظهرك ، تحاولين جعلهم يقتربون إليك أكثر ، كالمغناطيس تمامًا ، فقط كي يتمكّنوا من إدراك جانبكِ اللّطيف ، فلا يشعرون بالرّعب لمظهرك .. لستُ في وفاق معك هذه المرّة ، ولِمَ قد تكترثين لآرائهم ، جميلة أنتِ في عين نفسك وفي عيني ، وهذا يكفيك ، من أراد أن يتحقّق من جمالك فليقترب ، ومن تصنّع الهلع للونك من بعيد ، فأرض الله واسعة !...

أعلم جيّدا سبب نظرتك الغامضة ، لا ترهقي نفسك فأنا لن أجبرك على البوح ، الأمر واضح، غاب الحبيب وغابت روحه ، رحل عنك من كان يأويك ، والقلب الذي تعلقتي به ودّعك ، شاهدت الطريق وهو ينسدّ أمام آمالك وأحلامك ، وأنت الآن بين نارين ، أنت مشتتة تماما ، لا تعرفين هل تبتسمين للعالم وتخفي حزنك ، أم تظهريه له... أنا أحسّ بشعورك هذا.

أعلم لماذا تبدو بتلاتك ذابلة ، ثم تعود للحياة إذا لمحت أعين النّاس ،

من جانب الحياة المظلم ، لقد سئمتِ من وجوه النّاس الكاذبة ، مللتِ تلك الأقنعة التي يتلبّسونها ، لا تنكري كم تتألمين في داخلك من تلك الكلمات التي أطلقتها ألسنتهم بلا رحمة كطلقات مسدس ، ولا تنكري كم آذيت فؤادك مقابل كبريائك ، لا تنكري كم من الدّموع والألم يختبئ وراء ابتسامتكِ ، لكنّك تحاولين جاهدةً أن لا يشفق عليك أحد ، أن لا تظهري حزنك لأحد ، وأن تبتسمي في وجه أيّ أحد .

الأمر الذي حيّرني يا صديقتي ، هو ذاك النّور الذي يشعّ منك ، تحت أشعّة الشّمس الدّافئة ، وهل هذا سحر أم ماذا .... إنّه الأمل الذي بداخلك ، وَالثّقة التي منحْتِها لنفسك ، إنّها عزّة نفسكِ ، وإصرارك على التّغلب على هذا الواقع المر .... آه كم أحسدك ، رغم كلّ ما تتعرّضين له ، تقاومين الحياة بقوّتك ، فتجعلين الأسوأ أجمل ، تجعلين الحزن فرحا ، والكآبة سعادة ، واليأس طموحا ، والمرّ حلوا ، والفساد صلاحا ، والجحيم جنّة ، والظّلام نورا ، أنت تصنعين من الخيبة أملا ، بل ، أنت تصنعين الحياة بيديك كما تريدينها تماما ، أنا حقا معجبة بك.

لكن ما يخيّب أملي ، رغم كلّ هذا أنت وحيدة ، أعلم مقدار حزنك ولا حاجة لك لإخفائه ، أنت وحيدة الآن ، وأثرك يختفي شيئا فشيئا ،

لم يعد هناك قلب يضمّك ، ولا ملجأ يأويك ، ألا تخافين أن تفقدي آخر ما بقي لك ، آخر ملجأ لك؟ مالذي سيحلّ بك؟. إنّه أمر مخيف حقا .

هنا سمعتكِ تتدخلّين فتشوّش فكري ، تحدّثتي برِقّة وبصوت بارزٍ ، وجعلتِني أصمُد في مكاني ...

ولم القلق؟ عليكِ أن تعلمي جيّدا ، أنّني نادرة ويستحيل أن يكرّرني الزّمن ، أنا مختلفة في كلّ شيء ، في جوفي وسطحي ، وكم أعشق هذا الاختلاف ، فهو سبب تألقي وتميّزي ، هو من زاد جمالي وقيمتي وأهميّتي ، أنا لست وحيدة فاطمئنّي ، لستُ كما يعتقد الجميع ، على العكس تماما ، أنا سعيدة جدا بحياتي هذه ...

أن أكون آمنة في قلبٍ واحدٍ صادقٍ ، يفعل المستحيل لحمايتي ، أن أجد مأوى يحضنني بلا امتنان منه ، أن أجد أرضا طاهرة وسماء صافية وهواء منعشا نقيا خال من النّفاق والأكاذيب والمشاعر الزائفة ، أليس هذا رائعا؟

أن أكون كبيرة في عين شخص واحد صادق معي ، خير من تعجب بي آلاف القلوب الزّائفة ، وأن أكون مُلكا لمن هو أهلٌ لذلك ، خير من كوني سلعة متبادلة .....

أنا هنا ، منفردة عن هذا العالم ، لم أجد مأوى سوى هذه الأرض الطّاهرة ، أنا هنا محمّية من كل ما يؤذيني ، أنا هنا ، لست لعبة في الأيادي المُقرفة ، أُقطَف لجمالي وأُرمَى مع القمامة إذا فقدت طاقتي ، يتخلّون عنّي بكلّ سهولة ، يستمتعون في اللّحظات التي أكون فيها جميلة وطيّبة ، فأمتّع أعينهم لوهلة وأعطّر أنوفهم وأنعش صدورهم ، ثمّ وبعد ذلك ، يرمونني أين ما يرغبون ، وقد نسوا للحظة أنّهم سبب فقداني لأصولي وروعتي ، سبب فقداني لطاقتي ، وسبب ذبولي وموتي... على العكس تماما ، أنا هنا ، مع من يقدّرون قيمتي ، يحافظون على جمالي ورقّتي ، يكرمونني ويوّفرون لي حاجتي ، يخشون ذبول بَتلاتي النّاعمة ، ويحزنون لفقداني وموتي..

أنا الآن مهدّدة بالزّوال... ربّما وفي أيّ لحظة ستغيب صورتي عن هذا العالم ، يومها أُراهن أنّهم سيعَضّون أصابعهم ندمًا ، وسيقدّرون قيمتي ، سيتمنّون لو وفّروا الأمان لي ، حتّى أصاحبهم طيلة حياتهم وربّما أصبح زينة لقبورهم ، لكن فلتعلموا جيّدا ... أنّ موتي مقترن بالقلب الذي تعلّقتُ به ، والوطنِ الذي سكنتُه ، والأرضِ التي ملكتها ، والمأوى الذي

حظيتُ به... فلو جاء على مسامِعكم يوما ما أنّ الوردة السّوداء .. هالفيتي .. قد غادرت العالم ولم يعد لها أثر في الوجود ، فكونوا على يقين واعلموا عندها ، أنّ القلب الذي كان يحميها قد مات !

كي نعود من حيث أتينا ، يا أصدقائي ، مكاننا نحن في الواقع لا في الخيال ، وكي نكون صريحين مع أنفسنا ، الورود لا تتكلّم وليس لها الحقّ في التّعبير عن مشاعرها ، الورود لا تملك قلبا ولا إحساسا ، لا علاقة للون والشّكل والرّائحة بكلّ ما قيل ، الجمال صفة تدرك بنظرة واحدة ، ولاحاجة لأخذ الأمور بشكل فلسفي أكثر...

تلك لم تكن سوى مشاعر فتاة تجسّدت على هيئة هذه الوردة ، تشاركت معها في الأحاسيس والمشاعر التي لاوجود لها في الواقع ، وإنّما لكلّ منّا نظرة خاصة ، ونظرتنا إلى الأشياء تختلف ، فرأيت في هذه الوردة صفاتي ومشاعري وما يخبّؤُه فؤادي ، شعرتُ وكأنّها رسمتْ صورتي كي تبرزها لي ، وكي أرتاح لها أكثر.

كم أنا مولعة بالخيال ، أجول بعيدا عن الواقع عندما أكون في حوار مع أوراقي ، ولا أريد لأحد أن يتدخّل فيفسد الأمر ، أشعر بالرّاحة حقا ، فأنا كطير حرّ يتجوّل براحة وطمأنينة ، لا تلُفّني قيود ولا قوانين ،

وهذا ما أنا مغرمة به في الأدب ، إنّه يفتح لي مجاله الواسع اللّامنته ، لا حدود ولا قوانين ، كلّ ما أنا بحاجة له هو قلب صادق وعقل راجح وورقة وقلم يشاركانني شعوري ، الآن أنا أُشبّه نفسي بوردة ، وفي مقال آخر ... بفصل الشّتاء ، ثمّ وبعد هذا جعلت نفسي قمرا ، ثمّ شمسا ، ثمّ نجوما ... من يدري كيف سأصف نفسي مستقبلا ، هذه طريقتي الخاصّة وكم أنا مرتاحة بهذا.

أمّا الآن ، وقد أطلت في الحديث ، أريد إخباركم أنّ "هالفيتي " موجودة حقا في هذا العالم ، موجودة على هيئة آدمي ، أو مخلوق رقيق ، وهاهي تعبّر عن نفسها ... هاهي قد سمحت لمشاعرها بالعبور إلى الضّفة ، بعد أن كاد الكتمان أن يحطّم ما تبقى من قلبها ، وأيضا ، لازالت تبتسم ، وكم أحببتم ابتسامتها ....

فتحت الباب السّادس عشر ... من يدري أيّ رحلة تنتظرني ، وأيّ تجربة تنتظر لأدقّ الباب !!

بدأتُ الآن ... أكتشف سخافاتي السّابقة ، فلا تمنعوني من الضّحك !

قبل ثلاث سنوات من الآن ، وقعت في حبّ ذاك الشّخص ، من أوّل نظرة لي في عينيه ، خفق قلبي ، وخُلق له جناحان ، صعدا به فوق السّحاب ، جال الأرض والسّماء ثمّ عاد ليخبرني مجددا ، هذا هو ، هذا ماذا ؟؟؟ ، هذا هو الذي بحثتُ عنه ، ومن أين جئتَ بتلك الفكرة ؟؟ أنتِ لا تزالين طفلة حقّا ، على الأقل ، اتركي لي المجال لأُحس أنّني مُلك لبالغة ، لمرة واحدة لو سمحتي ...
كذّبت نفسي يومها ، وبقيت في صمت أحادث نفسي ، لماذا تصرّفت بتلك الغرابة ، لماذا تعقّد لساني ، والأمر العجيب ... اسمه ! أقسم أنّني حاولت ولم أستطع نطقه.

اعتبرتك صديقا .. ثمّ أكثر منذ ذلك ، ثمّ كبرت وتغيّرت نظرتي ، هذه المرّة فقط أدركت أنّني أحببتك منذ تلك اللّحظة ، لكنّني لم أترك لنفسي مجالا لأتقبّل ذلك ، تحت عنوان "لازلت طفلة ، فلم أشغل نفسي بتلك الأمور "
اكتفيت برؤيتك كلّ يوم ، بالسّؤال عنك كلّ يوم ، و بمحادثتك كلّ يوم ..... لا أدري لماذا لم أشعر بالملل ، أليس غريبا ؟!

جعلتني أتعلّق بك إلى هذا اليوم ، وأبرزت اهتمامك وجانبك اللّين ، حتّى ظنَّتْ كلّ عين قاطعت أعيننا وهي تتناظر ، أنّنا حبيبان ! أنّ علاقتنا متينة ، وأنّ هناك شيئا نخفيه عن الجميع ..

ثمّ مررت بفترة ، كرهت فيها اسمك ، فأعز الأصدقاء ..... ممتازون جدّا في حياكة القصص والخرافات ، وكم كان التّصميم مميّزا ، أُصبتُ بعقدة نفسية بسببك ، بسبب ما اتّهموني لأجلك ، سمعت من أفواههم ما سمعت ، والأمر الغريب .... بل الأكثر غرابة ، لم تقع على مسامعهم ولا مشاهدهم صورة لنا الاّ أمام اللّه وفي بيت اللّه ، فسبحانه ، كيف لهم أن يكتبوا للقصّة مقدّمة وعرضا وخاتمة ، بمشاهد خيالية لا تقتضي شيئا من الواقع ...

من حقّهم أن يدركوا كم كنت أحبّك ، فبلا شعور منّي أختلس النّظر إليك ، وهذا طبيعي ، لكن أن يحاولوا إفساد سمعتي بهذا السّن البريء ، بهذه التّاج الأخلاقي الذي يعلو رأسي ، بهذا القلب الطّاهر والضّمير الذي لا يسمح لي أن أؤذي كرامتي وأحط من قيمتي...أمر لن أسامحهم عليه أبدا .ينسجون خيوطا كتلك التي تنسجها العنكبوت ، ثمّ يتّبعون أساليبهم الخاصّة ، تجعل السّامع يقع في قبضتها ، ويصدّق كلّ ما تتفوّه به ألسنتهم ...

سأخبرك بأفضل شيء تركته في نفسي ... كنت محفّزا لي، وسببا في حفظي لكلام اللّه ، لقد أضأت في قلبي شعلة دفعتني إلى الأمام ، فلطالما أحببت هذه الصّفة فيك ، كنتَ دائم الحرص على الحفظ ، بل ودائم التّفوّق ، وأنا وضعتُ هدفًا ليس لأتفوّق عليك بل لأعتبرك قدوة ، وحقًّا جعلتك كذلك ...

لنقل أنّنا عشنا طفولة سويّا، أفسدها هذا السنّ اللّعين ، ولم قد ألومه ، من الأجدر أن ألوم نفسي لا غير ..

الآن تحطّم ما بنيناه ، الآن تغيّرت المفاهيم ، وتغيّر الأسلوب في الفهم ، تغيّرت طريقة تفكيرك وتفكيري ، و لكنّك تفوّقت عليّ بسرعتك ...

بعد هذه الرّسالة ...مجرّد رسالة ، وما كانت لتكون لولا الصّدفة ! ستبيّن أنت حقيقتك ، وسأدرك ما غاب عن ذهني ، ستكون القبضة في يدك ، وسأكون كالعبد في ناظري ، ستكون حرا طليقا ، وسأكون سجينا لدى قلبي ....
ثمّ وماذا بعد ، سأدرك أنا الحقيقة وأنت مدركها ، سأفهم كلّ شيء ، وسأكتشف غبائي وطيبتي ، سأفكّر بعقلي وأبني نفسي وأعود أكثر قوّة لا شيء يزلزل ثقتي ، سأكون أكثر حذرا وسأمنع نفسي من الوقوع في نفس الخطأ ، سأختار بعناية ولن أتسرّع ، ثمّ ... لن أتذكرك ، ولن يبقى أثرك ، ولا أيّ شعور تجاهك ، موجود بلا وجود ، هذا كلّ شيء ، كلّ ما سيبقى..الأثر الجرح الذي سببّته ، لكن لا تقلق سأعتاد عليه ، ولن أتألم كثيرا، فلربّما سيأتي من يحمل أضعاف الحزن الذي سببّته لي ويجعل منه سعادة ، فكيف لي أن انتبه لأمرك ؟ ! إيّاك أن تبحث عنّي في المستقبل ، لأنّك ستندم على ذلك ، ستجدني مختلفة ، هذا ما سيحدث سأنجح وكأنّ شيئا لم يحدث ، وسأواصل طريقي وأين العائق في ذلك ، كلّ شيء سيكون طبيعيا بك أو بدونك ، وإذا حاولت إيذائي مجددا ... ستكون أنت الخاسر وأنا الفائزة ، سأكون المنتصرة ، ستتفاجأ عندما ترى ضعفي مرميًا في الخارج ، وستندهش أين اختفت كلماتي الطّيبة ومالذي جاء بتلك القسوة إلى داخلي .....ربّما لم يكن الذي آذيته شيئا مهما بالنّسبة لك ، لكّنه كان قلبي ، هل تفهم ، كان قلبي يا أخي !

يبقى أصعب تحدّ واجهته ، تلك اللّحظة التي وقفت كلماتي على حافة الباب ، فأنهكني التّفكير حينها ، هل أترك المجال لها لتخرج فأخسرك ، أم أتركها داخلي فأخسر نفسي ، هل أخبرك وينتهي كلّ شيء ، أم أستمرّ في إيذاء نفسي !

الآن كلّ شي مرّ ، وبلا تدخّل منّي ، كلّ شيء جرى بلا رغبة أو تحكم .

فيا ربّ ارزقني سرعة النّسيان ، هذا كلّ ما أنا في حاجة له

أمّا أنت ..... لا أريد وصف حالتك ، ولا كيف ستمضي حياتك ، فالأمر لا يهمّني و إن كان كذلك ، أبواب الغد مغلقة لا أملك مفاتيحها ، لذا سأترك مكانك فارغا ،
فلتملأه بنفسك !

عندما أتذكر .. أصير كالمجنون تماما ، الدموع
تنهمر كالودق ، وابتسامة ساحرة تعلو شفّتي ،

أهما شعور الحزن والفرح معا صبا في بئر واحدة
، بل وشعور ثالث .. الاستّهزاء

والسخرية ...!
ّ
لا أتمكن من فهم مشاعري ، فكيف لي أن أبرزها ؟
طلاسم مختلطة .... آه كم لغة المشاعر صعبة

حقا ، لن تتمكن من حلها إلا إذا اعتمدت على
قلبك ، على ذاتك ، فإنّ عجزت ... عذرا ، لا يمكن

لأحد مساعدتك !

ستدور في حلقة مفرغة ، و ستكون كالتائه في
بستان أفكارك ، نصيحتي لك ، تعلم هذّه اللغة
المعقدة منذ قراءتك لهذه الجملّة ، ستكّون
ّ دليلك الوحيد لتجبر خاطرك !

كانت تلك الثّلاث أحرف التي كتبتها بيدي ..هي السّبب الوحيد ، بالكاد كانت أقسى كلمة كتبتها ، تحيّة الإسلام هي السّلام .. والسّلام يعني المحبّة والوئام ، أمّا تجربتي الخاصّة ...جعلتني أضع معنى آخر لهذه الكلمة ، معنى قاسيا لا يليق بمكانتها ، ولا وجود له في معجم اللّغة .

كانت تلك بداية صراعي مع نفسي ، بداية ألمي ، وإحياء الضّمير الذي لا يكلّ من تأنيبي ، أيّ عذاب أقسى من النّدم ، كم هو صعب أن تتألم بسبب شيء فعلته في الماضي ، ماكان عليك أن تفعله .

لاذنب لي ، جريمتي الوحيدة هي تلك التي ارتكبتها أصابعي ، تبا لك ، ماكان عليك أن تتسرّعي ولو أنّ الانتظار طال .

ولكن ... إلى متى ؟ إن لم أتصرّف كيف سأجد أجوبة لأسئلتي ، لقد أوشك الكتمان أن يفتك بي ، في قلبي الكثير والكثير ، لا أهتمّ للأحاسيس التي يكتمها ، لكن ماذا عن الألم ، ماذا عن المشاعر السّلبية التي تنعكس عليّ، هل أسير بقلبي نحو الهلاك ؟.لا يمكن للإنسان أن يحصل على ما يريد إلاّ بتحرّكه ، لكن تحرّكي كان سبب فشلي .

أليس من حقّي أن أعرف الحقيقة ؟

تردّدت وأنا أحاول أن أبدأ تلك الصّفحة الأولى من كتاب لطالما حاولت فتحه ، كنت قد كتبت القصّة في مخيّلتي قبل أن أفتحه ، ربّما القدر شاء أن يطول الحال ، الآن قرّرت أن أحاول ، لم أقترف أيّ خطإٍ وماذا سأخسر إن حاولت ، أجل سأحاول.

كان تلك الرّسالة التي بدرت منّي انجازا كبيرا بالنّسبة لي ، فانا لم أفكر قط بهذه اللّحظة ، كلّ ما حدث كان مصادفة ، كان ردّك عليها مفزعا قليلا ، إلّا أنني وضعت للأمر معنى واحد ، هو تقبلّك .

لا بأس إن كنت تريد التّأكد هل أتظاهر بذلك أم حقا مصادفة ، أنت لا تعلم ماحدث في ذلك اليوم ، عندا قامت صديقتاي بدافع المزاح ... بتقديم تلك الأوراق تحت اسمي ، لم يكن لي دخل يومها ، بل وعندما سمعت بالأمر كدت أموت خوفا ، كاد قلبي أن يتوقّف عن النّبض ، ثمّ بعد هذا ، وبعد تردد كبير منّي قرّرت أن أفسّر الأمر لك وبادرت بالاعتذار ، أمّا الأسوأ أنّني لم أتمالك نفسي وكتبت لنفسي قصّة خيالية لا وجود لها ، هنا قرّرت التّقرب منك ومن تفكيرك ، حتّى أتحقّق من اختياري لك.

لم يكن لي هدف غير أن أوضّح لك ، غير أن أخبرك بما يجول في خاطري ، كان شعوري فقط من يقرر ، قلبي كان يأمرني فغاب عقلي ، ربّما هو الحبّ أعمى بصيرتي ، ولكن في كلّ الأحوال أبقى تلك البنت العاقلة ، أجل أنا أميرة بأخلاقي ، كنت أفكّر قبل أن أتفوّه بحرف واحد خشية أن أقول شيئا يحطّ من كرامتي وأخلاقي ، لكن ما أباح أباح ، فهذه غريزة فطرية في قلوبنا لا نستطيع التغلّب عليها ، أحببت كغيري من النّاس وأين العيب في ذلك ، لكن من المؤسف أنّني أحببت الشّخص الخطأ !

ربّما ، بل أنا اعلم جيّدا أنّه ليس الحبّ المقصود ، أعني ليس الذي يختار الشّراكة في الحياة وما شابه ، إنّه سنّ حرج مررت به كغيري من الشّباب ، أو بالأحرى سنّ طفولي ، كنت طفلة عندما بدأ حبّي لك ، لا أدري لمَ يومها نبض قلبي بذاك الشّكل ، فأنا لم أدع أمورا كتلك تشغل بالي ، كنت أعتبر الجميع أحبّاء بحق الأخوّة أو تجمعنا صلة الصّداقة لا غير، لكنّ مفهومي تغيّر كثيرا عند رؤيتك ، وهذه أوّل تجربة لي ، وبالتّأكيد ... أكثر من فاشلة ، فأنا لم أفكّر جيّدا ، وتركت الأمر في تطوّر ، يكبر كلّما كبرت أنا ، لو تركت الأمر على حاله بلا تدخّل منّي ،

لربّما جرت الأمور على خير . حسنا .. أواصل لك مناسبة الرّسالة ، كنت أودّ أن أختبرك ، أن أختبر إذا كان قلبي قد اختار الشّخص المناسب ، قبل هذا عليك أن تعلم ، لو لم أعرفك جيّدا من قبل ، لما سمحت لنفسي بالاقتراب منك . كنت أريد أن أعرف فقط إن كنت صادقة مع نفسي أو تكون مجرّد خبايا الدّنيا ، فهي دائما تظهر لنا الأجمل كي ننسى ما في باطنها وأعماقها ، أردت أن أخبرك لولا شعوري بالأمان تجاهك ، لولا شعوري بالرّاحة والاطمئنان لقلبك ، عن أيّ راحة أتحدّث ، تبّا ، فبسماع اسمك تتسارع نبضات قلبي ويتلاشى حقا ، إنّما أقصد الرّاحة التي تتملّك تفكيري ، فأنا لا أستطيع أن أتوقّع منك سوى الأفضل. كنت أتمنّى أن تتقبّل منّي كلماتي دون أن أتحمّل عبئ البوح بها ، كنت أريد بشدّة أن تقرأ رسائل قلبي دون أن تقترب منه ، وأن تفهم ما عنيته دون شرح منّي ، كنت أراقب بريق عينيك عندما أنظر إليك ، لكن ..مع مرور الوقت ، اتّضح أنّني أخطأت في قراءتي للغتك ، فذاك لم يكن سوى انعكاس لبريق عيناي أنا أثناء رؤيتك !. يا لخيبة الأمل ، اتّضح أنّني بالكاد غبيّة ، حتّى أنّني قرأت تشفيراتك تلك بالمقلوب ، ووضعت لها معنى غير المقصود ، لست بحاجة لأتصنّع الذّكاء !

كنت أنتظر منك أن نتسابق ، أيّ منّا سيفصح للآخر، لم أكن أدرك أنّني وحدي من امتلك هذا الشّعور ، مع الأسف كنت غافلة عن الكثير من الأمور. أمّا أنت ... آسفة جدا ولكن حقا أنت وغد ، كانت لك غاية لم أفهمها حتى الآن ، كنت تلحّ عليّ لتسمع كلمات لم أكن أريد التّسرع في نطقها ، كنت تزيد قلبي اشتعالا ، لا أدري أيّ أسلوب اتّبعته ، لكنّك نجحت حقا.

كنت انتظر منك كلمة واحدة ، كلمة واحدة فقط كي أشعر بالأمان فينفجر قلبي لأفصح عن ما في داخله ، أعرف كيف أستخدم عقلي جيّدا ، لكنني كنت جبانة أمامك ، كنت تصرّ على أن أتكلّم وأفصح لك عن مشاعري ، لا أدري ما هدفك ، كلّ ما فهمته ، ولا أظن أنني كنت مخطئة ، هو أنّك حاولت استغلال عواطفي ، بحقّ السّماء ألِأنّني فتاة ؟ وهل هذا بسبب طيبة قلبي ، أم بسبب ضعفي ؟ هل لأنّي حسّاسة حاولت استغلالي ؟ أم أنّ..... دموعي الغالية تروق لك ، عليك أن تعلم جيّدا وتضع في ذهنك... ربّما استمتعت بذلك لكن ، دموعي تلك أنقى من أن تنهمر لشخص مثلك ، لو عرفتَ قيمتها لما سمحت لدمعة واحدة أن تنساب من خدّي ، لا أدري لم قد يعيش بعض

البشر عديمي الإحساس على ظهر هذا الكوكب النّاعم، أم نحن الفتيات نبالغ قليلا ، لا أنكر ذلك ، ربّما في الأمر مبالغة ، لكن من عاش التجربة وحده من يدركها ، لا يمكن لقارئ مثلا أو مستمع أن يتألم لأمر قد يبدو تافها ، أو لأن هناك أمور أهم بكثير ، لكن عندما تعيش الأمر بنفسك ، عندما تتعرض نفسك لصدمة لم تكن مستعدّا لها ،صدّقني ستتألّم ، ستتألّم كثيرا .

أقولها بصراحة ، لست سوى فتاة ، قد أبدو قويّة لأن البسمة لا تفارق شفتي ، لكنني ضعيفة ، ضعيفة أمام أهون المواقف ، لا أقوى على المواجهة ، لا أدري لماذا ولكنّني لا أستطيع أن أحافظ على صلابتي في وجه الكثير من الأمور ، أحاول وأفشل ، والأسوأ من ذلك ، دموعي السّخيفة ، لا أستطيع التّحكم في نفسي وإن أظهرت قوّتي ، تتدخّل عيناي لتفسدا الوضع .

لكن ، أعلم جيّدا طيبة قلبي ، أعلم كم هو صاف وطاهر ، لا أحمل حقدا ولا كرها لأحد ولا أتوقّع الشر من أحد ، لا زلت وبعد كلّ شيء أعتقد ... بل أؤمن أنّ النّاس لن تعاملني بالسّوء ، أقول في نفسي إن كنت صادقة لم قد يواجهوني بالعكس ؟

عندما أتذكّر تلك اللّحظات التي سمحت فيها للنّاس بإغاضتي ، عندما لازمت الصّمت بينما أتلقّى كلماتهم تلك ، كلماتهم التي تخلّف أثرا لا فرق بينه وبين ما تخلّفه القنابل النّووية ، عندما تعرّضت لأذيّتهم ، لألاعيبهم السّخيفة ، ثمّ التمست الأعذار لهم ... أشعر برغبة في لكم نفسي بقوّة ، بقدر الغباء الذي انتابني ، وهل أنا غبيّة لهذه الدّرجة ، النّاس لا يتغيّرون أبدا ، سيجدون لك عيبا ولو لم يكن موجودا ، فيقط ليفتحوا المجال لكلماتهم وألسنتهم ، ليتفوّهوا بكلامهم الغير موزون ، ويجدون المتعة الكاملة في ذلك ، تناسيت كلّ شيء ، ثمّ وبعد هذا ، حتّى نجاحي يربطونه بأشياء لا علاقة لها ، لا يفكّرون أصلا في كلامهم ، المهم أنّه قابل للّفظ ، هذا ما يهمّهم ، لطالما وجّهوا إليّ كلامهم الجارح ، بسبب نجاحي يا سادة ، وأنا .. الدّمية اللّطيفة ... بدل أن أرد الصاع بالصّاع ، وأعمل تحت قانون " البادي أظلم " أتجمّد في مكاني وأبلع لساني وأستمع إلى ما يقولون والأسوأ أبقى أفكّر في كلامهم الفارغ ...

أعاملهم حسب قلبي متناسية أنّ قلوب بعض البشر .. لاتعرف الرّحمة . ومن لا يحمل الرّحمة في قلبه ، ليس أهلا لأن يُرفق به ، فالقسوة معه ضروريّة بالفعل!

لكنّ نفسي لاترضى أن تكون مثلهم،لا أريد أن يتعرّض أحد لشيء آلمني. هذا هو السّبب الوحيد الذي منعني أن أقف في وجهك أو أجرحك كما فعلت ، كم أحسدك ، فبكلّ برودة فعلت مالم أتمكن من فعله .

سبق وأخبرتني أنّك لم تفعل شيئا يستحقّ أن أحزن لهذا الحد.. هل حقا لا تعرف مالذي فعلته ؟ غرزت مخالبك في قلبي ، خرّبت شرايينه بكلماتك .. أحيانا ، لا نهتم لقسوة اللّسان ، لكن أكثر ما يزيد من ألمنا هو ... مصدر تلك الكلمات ، عندما ينطق الشّخص الذي وضعت أملك عليه ، وكلّ ثقتك فيه بكلمات قادرة على تدميرك ... سيكون تأثيرها أكبر بكثير ..فأنا لم أمت عندما تلقّيت الرّصاصة ، بل عندما أدركت مطلقها ! . لا أدري ماكان هدفك ، لكن بدوت جادا في تلك اللّحظة ، كنت تتكلّم بطلاقة أمّا أنا ... فالدّهشة خرّبت فكري ، والخوف وضع عقدة على لساني ، لم أجد كلماتي فكلّها غادرت بلا رجعة . لا أتّذكّر ماذا قلت في تلك اللّحظة ، بكلّ صراحة لا أعي ما كتبته . صدّقني ، لم أكن انو أيّ سوء ، لو أنّك قلتها من البداية ، وبشكل لائق ، لغادرت بشرف ولما أضفت كلمة واحدة ، لكنّك كنت تختلق الحديث معي لتزيد الطّين بلّة ، كنت تستمتع بإغاضتي...

أمّا أنا .. لا زلت في انتظار رسالة اعتذار منك ، فأنا حقا لم أصدّق أنّك نفس الشّخص الذي أحببته ، نفس الشّخص الذي وضعته قدوة لي في أخلاقه وصفاته ، نفس الشّخص الذي انتظرته كل هذه المدّة ، بصراحة ، لم أصدّق أبدا ماجرى .

وهل فعلت ما كنت أنتظره ؟ بالطّبع لا ، بل أيقظت الجرح الذي كنت على وشك نسيانه.

عجبا ، لأناس يدخلون قلوبا ليسو أهلا لحمايتها ، عجبا لهم ، لم قد يوهموننا بأشياء غير واقعية ، ولم يتعمدّون خلق الثقة بيننا ، عندما يكون الأمر مسألة تعلّق ووقت ... فالفراق صعب جدّا .

كان السّبب الذي دفعني لأتقرّب منك هو أن أعرف الحقيقة فقط ، هذا كان هدفي وإن كان محض مصادفة ، فأنا لم أكن انو الاستعجال أبدا . لم أستطع تحمل الأسئلة وهي تتراكم في ذهني ، الآن وقد عرفت الحقيقة ... راودتني أسئلة أقسى بكثير ، وهل هذا منطقي ؟ هل ....كان جادا ، هل حقا تسرّعت وتسرّبت الكلمات منّي ..؟؟ تراكمت وتراكمت بلا أجوبة ، فأنت ..كنت مستعدّا لتجيبني على أيّ سؤال بلا اهتمام منك سوى أن تخبرني هل كنت صريحا معي !..

نحن نتعامل مع الأمور بشكل خاطئ ، فقط بالأقوال ، بما نسمعه ، لا نملك سوى هذا ، أمّا القلوب ... فلها أسرار خاصّة ، لا يمكننا العلم بها ، لهذا نواجه الأمر بما نراه وليس بمحتواه .

في هذه اللّحظة ، فكّرت في أنّي لو لم أصارحك ، لكنّا بقينا أصدقاء كالسّابق ، لا أنكر كم كنت سعيدة خلال تلك السّنوات الثلاث .. لم يكن بيننا شيء لكن على الأقل .. كنت سعيدة ، كنت أشعر بالرّاحة كلّما تحدّثنا معا ، أظنّ أنّنا كنّا مجرّد أطفال بروح بريئة ، كالإخوة تماما ، إنّه لشيء رائع ، هنا أتوقّف فأنا حقّا لا أستطيع وصف شعوري ، أيّام لن يكرّرها الزّمن ، ستبقى مجرّد ذكريات بيني وبين نفسي . وفي الحقيقة كان هذا سببا جعلني أخسرك ، وهذا الأمر زاد من حزني..

قبل هذه اللّحظة ، كنت بالنّسبة لي .. كل شيء ، كنت قدوتي قبل أن تسرق قلبي ، لا أنكر أنّني كنت أغار منك من كل شيء فيك ،ثم تغيّر الأمر ، وأصبحت أغار عليك من كلّ شيء.

أمّا الآن ... بالطّبع لم أستطع أن أضمر الكره تجاهك ، ولكن بالفعل أصبحت أقوى كابوس يروّعني ، أكثر شيء يخيفني ويقوضني من نومي ، تحوّلت من ذاك الملاك الذي حلمت به .. إلى وحش أفر منه .

صرت نادمة على كلّ شيء ، على تلك الثلاث سنوات التي قضيتها توهمني أنّك لي ، على سماحي لقلبي أن يأويك ، على تفكيري الزّائد بك ... والأكثر من ذلك ، أي خطإ ارتكبته ، لماذا أرمي بنفسي إلى الهموم ، ألست مجرّد فتاة صغيرة .. تنعم بحياة مثالية مع أجمل أسرة ، أنا سعيدة حقا بحياتي ، لماذا أفسدها بنفسي ، لماذا أهتّم للقيل والقال فتتحطّم معنوياتي ، ولمَ قد يتدمّر قلبي بسبب مجموعة بشر أغبياء أوهموني بالصّداقة ، لا يحملون سوى الحقد والحسد في قلوبهم ، أمّا أنا .. أضع ثقتي الزّائدة بهم ، ثمّ أفرّ مذعورة من النّتائج ..

و الآن ... أشغل ذهني بأمور لا توافق سنّي ، أنا في مرحلة صعبة من حياتي ، وكلّنا ندرك جيّدا ما يحدث في مرحلة المراهقة، قد أكون بالغت في اهتمامي وثقتي ، لكن الأمر ليس بيدي ... ليس بإمكاني أن أروي تفاصيل الحادثة ، فهي ليست سوى مجرّد محادثة بسيطة ، سبّبتها المصادفة ، جمّلتها المشاعر ، ثمّ تدخّل القدر ليجعل منها كلمات جارحة ، والأكثر من ذلك كلمات صدرت من القلب الذي إئتمنته ... آه لو أستطيع أن أدير عقارب السّاعة بيدي فقط لبضع خطوات إلى الوراء ..لأعيد المحاولة ، كنت سأعاملك بالمثل ، لو أحيلت إلي تلك اللحظة

حتما سأمنع قلبي من أن يأمرني وسأترك السّلطة الكاملة لعقلي ، كنت سأمنع كلّ كلمة تروق لك ، كنت سأعاملك بالمثل ... يا لسخافتي ، إنّها مجرّد كلمات لا غير ، فبشخصيّتي هذه لا أملك القدرة على فعل شيء ، كم أتمنى أن أُكوّن نفسي ، أن أنزع العواطف الزّائدة وأترك فقط جعبة منها فقط لم هم أهل لها ..

صدّقني ، لو جرّبت كلماتك في نفسك ... لما تفوهت بها ، تلك التي ظننتها مجرّد كلمات .. لاتساوي شيئا ، شقّت طريقها إلى قلبي لتكسره ، بكلّ بساطة ، كنت تمتلك القدرة لتواجهني بصراحة ، من أوّل وهلة ، أم ظننتها رجولة منك ؟ عجبا ، فالمجتمع لا يخلو من عقول فارغة ظنّت نفسها داهية ، إبحث جيّدا عن الرّجولة وعن معناها ، حتى وإن بحثت ... ذوي التّفكير المحدود لا يقدرون على إدراك حقيقة الأشياء !

حسنا .... كنت إذن تعتقد أنّها رجولة ، لا بأس ، لكنّك مخطأ ، كانت تلك محاولة لتكسر أنوثة فتاة ، بقلب أرق من الزهور ، أدركْتَ جيّدا مقدار حبّها لك ، والاهتمام الذي منحتك إيّاه ،أخطأت كثيرا يا أخي ، لكن لا تقلق ، فكما أخبرتك أنّي لي أن أحقد عليك وليس للحقد مكان في قلبي ، ولكن إن أنكرت ردّة فعل قلبك أنت ، فاعلم أن قلبك أقسى

من الصّخر ، أو بالأحرى أنّك إنسان بلا قلب .
لن أترك بالك مشغولا ، يبحث عن الرّجولة التي قصدتها ،إذن... كنتَ تعتقد أنّ فرض السّلطة رجولة ، أنّ التظاهر بالصّلابة والقوّة رجولة ، أنّ كلامك الجارح سلاح تدافع به عن نفسك وأنّ التّجاهل والإهمال يحافظ على كرامتك وقيمتك ؟! إن كان هذا حقا ما تفكّر به ، فأنت جاهل ، الرّجولة يا صديقي أن لا تتصنّع القوّة في وجه الضّعفاء ، أن تجعل قلبك مأوى لمن يبحثون عن مأوى ، أن تنتبه لطلقات مسدسّك ذاك ، وتضع حدًّا لها ، أن لا تؤذي مشاعر النّاس ولاتجرحهم وتأخذ الأمر على محمل المزاح ، أن تدرك حقيقة لغة القلوب والأحاسيس وتأخذ الأمر على محمل الجدّ لا بسخريّة ، أن تجرّب كلامك في نفسك قبل أن توجّهه لقلب لا يخصّك ، أن تواجه الأمور بشجاعة وتكون صريحا بلباقة، أحقا لم تدرك بعد أنّ مافعلته لا يفعله سوى الجبناء ؟الرّجولة يا صديقي كلمة بألف معنى ، ولاتعتقد أن يحمل هذه الصّفة من هبّ ودب ، فالرجل رجل بأخلاقه وصفاته ، بآدابه ومعاملاته ، بحسن تصرّفه وحكمته ، الرّجل يتعامل بقلبه وعقله وليس بتلك الأمور السّخيفة التي تضعونها عنوانين لمهامّكم ، لن أُنقص من قدري، ولن أدع شيئا يحطّ من

كرامتي ، ولن أسمح لفتاة أن تتغلّب على جسدي الضّخم وصوتي المرعب... !

لا أنكر أنّني أيضا كنت مخطئة ، فقد نسيت تماما أن الإنسان كائن خطير جدا ، نسيت أن البشر أجساد بقلوب وحوش لا غير ، ونسيت أنني بمنحي قيمة زائدة لهذه المخلوقات سينسون حقيقتهم كبشر ، كأناس عاديين ، يعيشون على هذا الكوكب ، أرض واحدة وسماء واحدة ، يتنفسّون هواء واحدا ، وكلّهم تحت رعاية الرّحمان ...

نسيت أنّ النّفس خبيثة ، تتجاهل من يقدّرها ويهتمّ بها ، وبل وتنقلب على عقبها ، فيتملّكها شعور بالسّلطة والحكم ...

نسيت أيضا أنّ الاختلاف طبيعي ، فقلوبنا مختلفة كثيرا ، لذا ... لِمَ قد أفكّر أنني سأُعامَل بمثل ما أُعامِل ..

هل تعلّم أنّه بعد كلّ هذا أحسست بالرّاحة ؟ تحرّرت من قيد لطالما أسر حرّيتي ، لم يعد الآن ما يشغل بالي ليفسد نومي ليلا ، لم يعد من يجعل شمس صبحي تتأخّر عن الإشراق ، ولم يعد هناك من يجهد قلبي فيجعل دقّاته تتسابق أيّها الأسرع ، أنا الآن أدرك الحقيقة ، حتى إن كنت لاتزال تضمرها ، حتّى وإن كان كلامك متعمّدا لإغاظتي ، حتّى

و إن أضمر قلبك عكس ذلك، لا أهتمّ ولن أهتم، ما دمت فكّرت لحظة في كسر قلبي... لن يكون نصيبا لك بعد الآن ، لم تعد تعني لي شيئا.

لقد اخترت ذلك بنفسك ، في هذه المرّة كنت أنت بطل القصّة ، بل كنت كاتبها ، أنت من رسمت الأحداث وبمفردك ، مع الأسف لم أتدخّل فيها ، كنتُ فقط لعبة في يد القائد ، أنت تقرر وأنا ... فقط أنفّذ ، ولكن مع هذا ، يبقى أجمل شيء في القصّة من نصيب الأذكياء فقط ، وهو المغزى ، لا أنكر أنّني تعلّمت الكثير ، الآن يتوجّب عليّ أن أشكرك ، فقد علّمتني دروسا عجزت الحياة أن ترسّخها في ذهني ، لطالما كنتُ مهملة في وجه دروسها ، نسيت تماما أنّني مجبرة في هذه الحياة أن أتلقّى إضافة إلى ما تقدمّه المدرسة ،وإلى دروسي المتعلّقة بديني وأخلاقي ، وإلى ما أقدّمه لنفسي بنفسي ... أنّ هناك معلّمة أخرى بانتظاري ، لكنّك حققّت إنجازا كبيرا بالنّسبة لي، فهذه المرّة الأولى التي أستفيد فيها

هل تريد أن تعرف ثمرة جهدك ، بل ثمرات جهدك ، لا مانع لديّ ، وإن كانت كثيرة سألخّص لك الأهم .

تعلّمت أنّ من يحبّني ...سيختلق الوقت لأجلي ، سيتفرغ لذلك على حساب انشغاله المزعوم .

تعلّمت أنّه في عصرنا هذا ... لا يوجد لطيبة القلب مكانة ، فالمجتمع جرّد الإنسان من جانبه الوديع ، القلوب مختلفة ، مختلفة كثيرة ، لذا سأكون طيّبة مع الطّيبين وسلاما على الباقين !

تعلّمت أن أحسب حسابا لكلّ شيء ... فلا تأتي الرّياح بما تشتهيه السّفن ، وهذا ماكنت غافلة عنه ، كان عليّ أن أتوقّع النّجاح والفشل ، القبول والرّفض ، أن أرجّح الأمور لصالحي أو العكس.. لا تتباهى كثيرا ، فأن أفقدك لا يعد فشلا ... لأنّني لم أكسبك منذ البداية !

لكنّني أخطأت التّقدير كثيرا ، ووضعت ثقتي الكاملة ، بأنّك لن تخيّب ظنّي ، لذا كانت العواقب أكبر بكثير.

تعلّمت أنّ أعظم حبّ أمنحه .... هو حبّي لنفسي ، هي وحدها جديرة بالحب ، فمن الأفضل أن أمنحها اهتمام وقيمة تليق بمكانتها ، أمتعها وأفعل ما يريحها ، على عكس ما فعلت بها ، فقد دفنتها قبل أن يحين أجلها ، وأفقدتها كرامتها بسبب كتلة من طين مجرّدة من روح الإنسانية !

تعلّمت أن قلبي جوهرة ثمينة ، ولن يحصل عليها من هبّ ودب ، لن يكون إلا نصيبا لمن هو جدير به ، إلا من كان أهلا لحمايته ، إلا من يستحقّ أن يحظى بهذا الكنز .

تعلّمت أن الثّقة الزائدة تهلك صاحبها ، فلا يجب أن أضع ثقتي بأحد ، فأنا حقا تعبت من العواقب، سئمت منها ، بل وأصبح الأمر مملا جداّ ، نفس الأحداث بقصص مختلفة ، كنت أختلق الأعذار وأنسى ببساطة ، لكنّ الأمر اختلف كثيرا هذه المرّة ، لأنّك أيقظت عقلي من غفوته ! تعلّمت أن لا أنخدع بالمظاهر بعد الآن ، فللقلوب أسرارها الخاصّة ، ليس كلّ ما تراه يجسّد ما يخفى على العين ، المظاهر أخبث بكثير مما كنت أظن ، أنت بشعور منك أو بلا شعور لا أدري ، المهم وإن كنت لا تعلم ، أنت أظهرت لي شيئا جميلا أخفيتَ وراءه الحقيقة . لذا وببساطة ، كنتُ أنا الضّحية وراء المسرحيّة التي قدّمتهَا.. تعلّمتُ أيضا أن الحياة ثمينة جدا ولا يجدر بي أن أضيّعها في التّفكير بشخص لا أعني له شيئا ،تعلمت أن أكون أنانيّة في بعض المواقف ،فهناك أناس لاحاجة أن توثرهم على نفسك ، أن أكون قاسية ولو قليلا، ليس بالمفهوم الخاطئ ، وانّما أن أكون أقوى من أن يدمّرني شخص بكلامه الفارغ ، فأنا الآن أعتبر أنّني كنت غبيّة أكثر من اللّازم ، فقد تركت قلبي وقلوب الذين يحبّبونني بصدق ، تركت عيناي والأعين التي تقدّر قيمتي ، واتّبعت طريقا مجهول المسار ، محفوفا بالغموض ،طريقا غامضا ، فقط كي أبحث عن قيمتي ومكانتي في قلب لم ولن يتمكّن أحد من حل شفراته وفكّ رموزه ،

كي أبحث عن طبيعة تلك النّظرة التي كاد عقلي أن يجنّ بسببها ، بسبب التّفكير الزّائد لتفسيرها ، كي أبحث عن مكانتي التي لاوجود لها أصلا ، في مكان ليس ملكا لي ولا من حقّي ، أين لا وجود لحروف اسمي فيه .. أليس هذا الغباء بعينه؟ كم أتمنّى لو كان ذلك مجرّد وهم ، كيف لواقعي اللّعين أن يتقبّل هذا ، أكبر مشكل نواجهه ، هو أنّنا وفي لحظات معيّنة ندخل عالم الأحلام ، نعيش الواقع على أنّه حلم لا غير ، فنفعل ما عجزنا عن فعله ونحن بكامل قوّانا العقلية ، لقد غاب عقلي تماما عن التّفكير في تلك الفترة ، ألكثرة الدّموع التي ذرفتها ، عندما أتذكّرها تصيبني الدّهشة وأبقى في عجب لأمرها ، كيف أنّها لازالت حيّة ، وكيف أنّها لم تجف بعد حسنا ، الآن سأودّعك ، وسأودّع كلّ ما مرّ بي طيلة الثّلاث سنوات ، كنت قد أخبرتك كيف قضيتها ، بل أعطيتك لمحة فقط ، فلا زال الكثير والكثير لأخبرك به ، لكنّ الأقدار لم تشأ ذلك ، ومادام القدر بعينه منعَ تلك الكلمات من أن تخرج ، من أن تُلقى إلى مسامع من وُجدت لأجله ، أعدك .. ستبقى فقط هنا ، في قلبي . سيبقى كلّ شيء جميل حدث معي ومعك ، وبالتّأكيد أنت لا تجهل كم أنا مرحة وجنونية ، فكلّ الكلمات والتصرفات التي صدرت منّي كانت طفوليّة إلى حدّ بعيد

و سأحتفظ بها فقط في ذاكرتي كأجمل ذكريات في حياتي ، كانت بل هي أجمل ما قمت به وأجمل ما تعرّضت له ، كلّ ما تذكّرتها ، لا ينتابني سوى الشّعور برغبة شديدة في الضّحك ... أيّام لن يكرّرها الزمن أبدا . ما أقسى الحياة ، تجعلنا نمرّ بكل ما نراه حلوا طيّبا ، ثمّ تأخذ بالثّأر .. أمّا الآن سأرحل وسآخذ معي كلّ ما قد يكون مصدر إزعاج لك ، لذا لا تقلق ، لن أزعجك بعد الآن بعينيّ رغم جمالهما الفتّان ، ولن أراقب حركاتك وتصرّفاتك ، لن أعكّر مزاجك بظهوري الشّبيه بالملاك ، ولن أزعجك بأحاديثي وقصصي ، أعتذر لأنّني كنت كثيرة الكلام ، وأيّ حديث ذاك الذي لا يملّ لساني فيه من التّعلثم ، هذا طبعي أحب محادثة من يرتاح لهم قلبي ، وأحبّ أن أتصرّف على طبيعتي ، لا أمثّل دور الفتاة الهادئة ، فهذه أنا مرحة وعفوية وأحب نفسي هكذا ، لن أسألك مجددا عن نبرة صوتك ، لما تغيّرت ، ولن أتّبعها مجددا لأعرف حالتك ، لأعرف إن كنت بخير أو لا ، لن أزعجك ولن أُزعج غيرك بأسئلتي السّاذجة تلك ، ولن أصير مصدرا يتتبّع عثراتك ، لن أُحادثك بشأن المدرسة ولا البيت ولا الرّياضة ، ولن تتمكّن من سماع أسئلتي الغبيّة ، خلّصتك من غبائي الفائق للحدود رغم أنّي ذكية ، فأنا أفقد

كلّ أفكاري في وجودك ، لطالما كنتَ تبتسم لأخطائي التي تتكرّر بصفة دائمة ، ثمّ أحتار أنا بين الضّحك والخجل ، وبالطّبع ، أختار أن أضحك. بشكل مختصر ، ستتخلّص منّي ومن كلّ شيء يصدر منّي ، إن أمكنكَ الحال ، من الأجدر أن تحذف اسمي من ذاكرتك ، فلربّما شغل مساحة من عقلك ليست أهلا له .. وكم أتمنى أن تمحو كلماتي وكلّ المحادثة التي دارت بيننا ، سيكون هذا اكبر فضلٍ منك ، وستنقذني تماما من موقفي اللّعين !

لكن ... من الجيّد أيضا أن تتذكّرها ، أجل فقد غيّرت رأيي ، تذكّر جيّدا كلّ الأمور التي ذكرتها سابقا ، تذكّر كلّ كلمة قلتها لك ، وتذكّر أيضا كلّ حرف تركتَه يتسّرب من لسانك دون أن تحسب له حسابا ..

تذكّر ذلك ليس لأجل هذا اليوم ... ولا الذي بعده ، لأجل ذاك اليوم الذي ستدركه بنفسك ، لا أحتاج للمزيد من التّفسير ، أنت أدرى بكلّ شيء.

كنتُ طفلة في نظرك ؟ كنتَ تظنّ كلماتي مجرّد لعبة أطفال ، بل وقلتها بكلّ فخر ، عليك أن تعلم أنّ وراء هذا القلب البريء الذي شبّهته بقلب طفلة ، وهذا أعظم شرف لي ، فمهما فعلت لن تصل لدرجة نقاوته

وطيبته ، وراءه عقل راجح ، أنا واعية تمام الوعي ، وأكثر من أن تتصور ، أعلم الكثير لذا لا تنخدع بمظهري ، فقط ... لو أستطيع التّخلص من غباء قلبي الذي يتغلّب عليّ في مواقفي السّخيفة تلك ، مع أشباه البشر ، فقط لو أستطيع منع تلك الدّموع من أن تظهر ضعفها أمام النّاس ، فقط لو أستطيع أن أحجب التّفكير الزّائد بمشاعر الذين لا يحملون شرف ذلك ، أراهن على أنّك ستنبهر ! ستتفاجأ كثيرا برؤيتك لعقلي وهو يُسَيِّر الوضع ، لذا ... لا تعتقد أنّ ذلك انتصار منك ، توقّف عند هذه النّقطة فالمسألة حُلّت وانتهى الأمر .!

تذكّرتُ تلك الكلمة التي صدرت منّي بدون أن أشعر ، لن أسامحك! لم أكن اعني هذه الكلمة حقا ، بل كانت مجرّد كلمة تفوّه بها لساني هذه المرّة وليس قلبي ، إن كنت تُصدّق ، كلَّ ما تذكّرتك دعوتُ الله أن تكون بخير ، لازلت أسألُ عنك ، عن أخبارك فأنا لا أريد لها أن تنقطع ، ولازلت أفكّر فيك لكن الآن لم أعد ألق باللّوم عليك ، بل أتذكّر كل يوم مرّ بشكل جميل بسببك ، لكنّني الآن أدركت جيدا أنّك لست من ممتلكاتي ولا يحق لي التدّخل في أمورك ، لن أتدخّل في حياتك أبدا على الرّغم أنّ هذا ماكان يتوجّب عليه فعله من البداية ، هذا أفضل لكلينا

فأنت ... عليك أن تعيش بما ترضاه لنفسك ، بما اخترته أنت ، فهذه حياتك وحدك ، ولك الحقّ في أن تختار طريقتك في استغلالها مع الشّخص الذي اخترته بنفسك أو ما اختاره قلبك ، وعليّ أن أعيش بلا أوهام، بلا قلق أو أسئلة زائفة ، وعلى أرض الواقع ، بعد أن قضيت مدّة طويلة ابحث عن المجهول في عالم مجهول! يكفي الآن ، اهتمّ بنفسك وسأهتمّ بنفسي ، لم يعد بيننا الآن شيء ، في الحقيقة هذا الأمر يخصّني أنا فقط .. فأنت لم يكن هذا شيئا بالنسبة لك من البداية ، على الأقل لم تعره اهتمامك ، أمّا أنا ... فقدت كرامتي قبل أن أفقدك ، لم يعد أمرك مهما لكنّني لا أودّ تذكّر كلّ كلمة قلتها لك ، وكلّ كلمة صدرت منك .

لكن وبصراحة ، لن يختفي أثرك أبدا ، لستَ مذنبا في اختيارك ولا أحاسبك عليه ، لكن ... ما مرَرتُ به بسببك ، أقسم أنّه لن يمحى من ذاكرتي ، لن أنساه ما حييت ، وليس بهدف التّهديد ، لا نيّة لي في أيّ شيء ، لكن من واجبي أن أنبّأك ، ستندم على ذلك !

أنا الآن لست نادمة ، فهذا كان دليلي الوحيد إلى الحقيقة ، ولكن لست ممن يُنشؤون علاقات ثم يحطّمونها أينما أرادوا ومتى شاءوا ، ربّما هي عزّة نفسي وأخلاقي ، لهذا أحسّ بتأنيب الضّمير عندما أتذكّر كم كنت جبانة

في ذاك الوقت ، لكن ... سرعان ما يتدخّل قلبي ويقول لي .. أنتِ صادقة دائما ، لم ترتكبي أيّ خطأ ، النّاس لا يقدّرون قيمة الأشياء إلّا بعد فقدانها ، لذ ابتسمي لأنك أدرى بقيمتك ، ابتسمي لأنّك الأشجع ، أنت من عثر على الحقيقة هذه المرّة ، فعلتِ ذلك بمفردك ولم تنتظري أحدا ، ابتسمي لأنّك لم تتركي أثرا جارحا في قلب أحد كما فعلوا بك ، أنت حلم في عين من يستحقّك فقط ...

أجمل حوار .. هو ذاك الذي يجري بيني وبين نفسي ، كم أحبّ تلك الطّريقة الرّائعة التي أتبادل فيها الحديث معها بكلّ راحة ، غالبا ما يحثّني قلبي بكلمات هادئة ترفع معنوياتي ، لهذا ألجأ إلى الانفراد ، إلى الأماكن الخالية من ضجيج العالم ، وإلى أوراقي التي لطالما رافقتني ، إنّه السّلام الدّاخلي ، وهذا أفضل ما قد يحسّ به الإنسان ، لا أجمل من علاقتك بنفسك ، وحدها لن تخذلك ، فقط ، جرّب أن تمنح نفسك فرصة للتّعرف على ذاتك ، كن صادقا معها ... ستبلغ مطالبك.

لم تكن تلك رسالة تهديد أو تأنيب ، وإنّما كلمات كتبتها آناء الليل ، في لحظة انطفأت فيها الأنوار من حولي ، وحلّ الصّمت من النّوع المثير للرعب ، وذاك اللّون الذي لم يشأ أن يتركني .... ماذا دهاني الآن ، في

كلّ مرّة أحاول أن أغلق الكتاب ، أن أنهي هذا الموضوع ولا أتكلّم مجددا عن كئابتي ، أجد نفسي تريد وصفا أدقا ، وكأنّ هذه الأسطر ليست كافية لها ، تطالبني بالمزيد والمزيد ، لكنني سأتوقف هنا ، لأنني أخاف أن ينكسر القلم فلا طاقة له لحمل هذا العِبء ، كما أنّني لا أرغب أن أثقل على أوراقي بمشاعر لازلْتُ عاجزة عن وصفها ، لغتي وحدها لا تكفي ، فدموعي وتفكيري والحزن الذي سكن قلبي أجدر برواية القصّة.

لقد نسيت القمر كليا ، وهل أنا وحدي مغرمة بجماله ؟ كم أحسده ، أمام عتمة الليل يظهر نفسه بكل ثقة فينير الظلمات ، يتكلّم لي ليبثّ الأمل في روحي ، أفهم كلّ ما يلمّح لي به من نظرتي إليه ، لطالما انزعج من رؤية دموعي وهي تنهمر ،يسألني في كلّ مرّة عن السّبب فيدرك أن من تسبب بحزني مخلوقات بشرية ، بالتّأكيد لا ينال الأمر إعجابه ، لكنّه بدل تأنيبي يفتح المجال لكلماتي بالتّدفق ، يجعل مشاعري تفصح عن حالها بمفردها ، فأقف أمامها شاهدا أرى كمّ الهموم التي تراكمت ، آه ما ذا فعلت بنفسي ، كم أخطأت بحقّ ذاتي ، اعذرني يا قلبي ، كيف لك أن تتحمّل هذه الطّفلة الغبية ، كيف لك أن تحوي مشاعرها السّاذجة ، أين لك هذا القدر من التحمّل ، وأين جئت بهذه المساحة الواسعة ...

أثقلتُ عليك كثيرا ، وأنتِ أيّتها العيون البرّاقة ، عذرا ، فقد جعلتك تفقدين جمالك ، جعلتك تدمعين وتدمعين بلا توقّف ، ومن دون حاجة لذلك ، وهل لازالت مشاعري طفوليّة إلى هذا الحد، مالذي يمكنني فعله ، لكن .. صوت ما دائما ما يتدّخل ، فيخبرني أنّ صدق مشاعري جمّل قلبي ولم يفسده ، وتلك العيون .... جعلت من تلك الدّموع غسولا لها ليطهّرها ، فلا تبالغي في التّفكير ، لكن الحزن يا فتاتي ، لا تستحقّينه أبدا فارم به بعيدا !

في لحظة عمّها الهدوء ، تذكّرت أشياء كثيرة ، تذكّرت كيف فقدت من كنت أظنّهم أصدقائي .... بسبب أمر جعل منّي أميرة في أعين الكثير ، كيف يمكن للمشاعر أن تقترن بالتّفوق ، وهل الصّديق وجد فقط لوقت الضّيق ؟ ألم يخلق ليكون نصفي الثاني ، في السّراء والضّراء ، أم أنّه لا يملك الحق في أن يشاركنا السّعادة ، فقط يكون صديقا وفيا اذا تفوّق هو عليك ، أمّا في حالة حدوث عكس ذلك ... تصبح شخصا سيئا في نظره !

تذّكرت حقائق كنت غافلة عنها طيلة هذه المدّة ، لم أن أدرك أنني جزء مهم من المسرحيّات التي كانوا يمثّلونها ، لم أكن أعلم ذلك حقّا ، كنت

أواجه الأمور بنيّة وصدق وثقة ، على أنّهم ... أصدقائي ، على أنّهم يحبونني حقا أو بالأحرى لن يفكّروا في إيذائي أبدا.

كنت أعلم أنني أبالغ في العادة ، لكن ليس لدرجة استغلالي ، الآن سقطت الأقنعة ، ولم يعد هناك داع للتّمثيل ، أعجبتني حقّا الأدوار التي قدّمتموها لي دون علمي ، كلّها مشاهد حزينة ، وغالبا ما أكون الضّحية ، لكن لا بأس ، لست ممن يحقدون أو ينتقمون ، لكنني سأحتفظ بباقة التّجارب تلك ، لأنها ستكون دليلي في المستقبل.

لم يعد هذا العالم آمنا ، لذا عليك أن تختار إمّا أن تحارب وتوفّر الأمان لنفسك ، أو تعيش طيلة حياتك تحت جناح هؤلاء ، ليس الصّديق صديقا بالجملة ، وليس الحبيب حبيبا بالضّرورة ، ليس كلّ ماتراه عيناك صحيحا ، وليست كلّ الأفعال انعكاس لنوايا القلب، يرونك على شكل مصلحة عامّة ، يأخذون حاجتهم ثمّ يرحلون بلا وداع ، والأكثر من ذلك يقومون بإيذائك بدل شكرك ، لا يتركونك إلاّ في صراع نفسي ، ويُعجبون بحالتك تلك... ارمِ بمشاعرك خارجا ، اترك حصّة فقط لمن يحبّونك بصدق ، لمن لن يخذلوك أبدا ، لمن تعتبرهم سندا لك في حزنك وفرحك .. ولا حاجة للتّفكير في الباقي .

هل تعلم أنّني على خلاف ماكنت تعتقد ، كنت حزينة قبل هذا اليوم ، أنت لم تكن السّبب في ذلك ... بل أنت كنت سببا في تحرير كلّ ماكان داخلي ، كما يقولون ، القطرة التي أفاضت الكأس! هل تعلم أيضا لِمَ لمْ أستغلّ هذه الأسطر لأخبرك ما عشته ، لأحدّثك عن الذين آذوني وآذو مشاعري كثيرا ولازالوا يستمرّون في ذلك ؟ لأنّني لم أعرهم اهتماما ، لا أنكر مالذي فعلته في حقّ نفسي ، لكن في المقابل أواجه الأمور على نحو عادي ، كنتُ أضع ثقتي بك ، كنتُ سعيدة لأنّني اعتبرك صديق ورفيق روحي وقلبي ، وكلّ شيء بالنّسبة لي ، فما حاجتي بهم ، كنت أعتقد انّك الوحيد ... الصّادق معي ، عجبا ، وقد أخبّرتك للتّو أنّني سأتوقف عند هذا الحد! ... لكنّ ذاكرتي تُحيي شريط ما مرّ بها ، هي الآن تعرض أمامي كلّ تلك القصص ، هل لاحظت كم هو عجيب أمر هذه الحياة ؟ نقضي يوما كاملا لا ندري ماذا يحوي ، قد نكون سعداء أو لا ، لا يهمّ إن كان اليوم طويلا أمّ مرّ سريعا ، بعد هذا ... تعرضه لك في قاعة السّينما خاصّتك على شكل لحظات ، ثواني معدودة ، لتحيي الذكريات ، هنا أنت والحظ ، قد تكون جديرة برسم الابتسامة على شفتيك ، أو ربّما بفكّ أسر الدّموع التي انحبست في عينيك!

كم أتمنّى لو أستطيع إيقاف الزّمن عندها ، لأعيش تلك اللّحظات أكثر ، لو كنّا نعلم نهاية الأشياء ، لقمنا باستغلالها كما يجب ، أمّا الآن ...فات الأوان ، وعلينا أن لا نجهل هذه الحقيقة ، أنّ مامرّ لن يعود أبدا ، إلاّ في الخيال . لم يبق لنا سوى أن نعيش بما كُتب لنا و أن نعيش بما نملك ، والباقي لله .لا نعلم أيّ مستقبل ينتظرنا ، ومالذي تخبؤه لنا الحياة .تُرى، أيّ حكاية سنرويها هذه المرّة ؟ وأيّ تجارب سنعيشها ؟ من سيكون بطلها وكيف هي النّهاية .... حقائق غيبيّة لا حول لنا في إدراكها فلننسى مافات ولننظر لما هو آت .

نسيت الأمر كليّا .. لم أعن بذلك أني محوته من ذاكرتي ، لكنّني عوّدت نفسي على تجاهل ما حدث ، صرت أكثر راحة وسعادة ، الآن ... وبسبب هذه الحادثة البسيطة ، تداركت أخطائي السّابقة ، وكأنّها سكبت مياه الأرض بأكملها على وجهي لتوقظني من غفوتي تلك ، قطعت عهدا على نفسي ، أن لا أسمح لأي شيء بزلزلة ثقتي ، أن لا يمنعني أيّ شيء من تحقيق أحلامي ، من أن أعيش حياتي كما أحبّ ، أمور كثيرة في انتظارنا لو واجهنا الواقع بجانبه المشرق ...

لا أنكر لك ... لم أترك كتابا عن تطوير الذّات إلاّ وقرأته ، لطالما أحببت

القراءة ، لكنّني في العادة أميل بشكل كبير إلى الرّوايات الأدبية أو الكتب العلمية ، لكن الآن اهتمامي كلّه صبّ في تطوير نفسي وإصلاحها ، أريد أن أتخلّص من هذا الضّعف وبشدّة .. أريد هذا حقا.

حسنا .. لقد التحقت بالثّانوية ، هذه المرّة لم أحكِ لك عن تجربتي كالمعتاد ، اكتفيت بروايتها لنفسي ، لكنّني لم أكن أفكّر بك كثيرا ، فأنا الآن أدرك كلّ الحقائق ، وأعلم الخطأ من الصّواب ، أمّا مزاجي متقلّب كالفصول ، يوما أتذكّر فأضحك ، يوما يصيبني النّدم ، ويوما ينتابني الشّوق والحنين ..... هكذا هي نفسيّتي ، غريبة وغير قابلة للفهم .

لكنّي بالكاد كنت أنسى ملامح وجهك ، ليتدخّل القدر فأرى صورتك ، يوما بعد يوما .... أصبحت أعتاد على الأمور .

بكوني طبيعية في تصرّفاتي ، عفويّة ومرحة ، أميرة بأخلاقي ، و مجتهدة في دراستي ، بالتّأكيد ..صرت محطّة أنظار لمن حولي ، الكثير من الأصدقاء تغيّرت تصرّفاتهم ، والكثير من مّن غادروا قلبي بالفعل ، بالتّأكيد ..من بينهم تاج فوق رأسي ، لكنّي أقصد من تلبّسوا الأقنعة طيلة تلك السنوات ، لا يهم ، فأنا الآن حقا لا أستطيع الوثوق بأحد كالسّابق ، فقد ضقت درعا من العواقب .

وعليك أن تعلم أيضا ...بك أو بدونك ، حافظت على مكانتي ، درست من أجل تلك اللّحظة التي حصلت فيها على نتائج ترضيني ، ولازلت أعتزّ بأخلاقي أيضا ، ولم انس درسك ، وتلك الكلمة التي قلتها ، أنا فتاة بارة جدا ، لذا سأعمل بها بالتّأكيد !

في بداية الأمر ، لا أدري لماذا وبعد كلّ هذا لازلت غبيّة ، لقد تلقّيت كلمات جارحة حقا ، والأسوأ أنّي أعرتها اهتماما كبيرا ، فقط بسبب كون أبي يعمل في ذات المؤسسة ، لم أكن أتحمّل تلك العبارات التي يلقونها على مسامعي ، كم أنّ قلوب البعض مقرفة ، ويا لتفكيرهم الغريب ، لا يستطيعون تصديق أنّ الأرزاق بيد الله ، وأنّ ما نلته ليس بلا مقابل ، يتجاهلون حقيقة الليالي التي سهرتها في طلبي للعلى ، كم ظلمت نفسي غاية أن أكسب ما أريده ، وكم بذلت من جهد ، بل يجعلون في نجاح الإنسان أسباب غير معقولة ، ليس هذا فحسب ، بل يلقون كلماتهم تلك في وجهك والتي هي أشبه بطلقات مسدس تخترق قلبك ، الواقع المرّ هو أنّني حاولت ولا أزال أحاول لكنّني لا أتحمّل ، قلبي لا يتحمّل أي شيء ، ضعفي هذا هو أكبر عيب في شخصيّتي ، لكنّني لازلت أرسم ابتسامتي ، وأمنع لعيناي الجبانتين أن تفسدا الأمر ، بالطّبع في بعض

الأحيان حقا لا أستطيع تمالك نفسي ... لا بأس ، مجرّد هراء وكلام فارغ لم ينجم سوى بسبب اتّساع أوقات فراغهم .

و إن كان ما نتلقّاه من وجوه مجهولة مؤلما ، فكيف بالذي ظنّناه صديق ، كيف بالذي فتحت باب قلبك له بكل أمان وصدق ، أنا شخصيّا ، ترعرعت في وسط يسوده الحنان ، الصّدق ، الأمان ، تربّيت على القناعة ، وعلى الرّضا بقضاء الله وقدره ، لطالما حثّاني والداي أن لا أحسد النّاس في مالم يُكتب لي ، فرزقي محتوم ، وهو بيد الله وحده ، ما يتلّقاه الإنسان من مال أو علم أو جمال أو أي شيء يتعلّق بالحياة الدّنيا ، هو بالفعل مقدّر له ...

أمّا في ما يتعلّق الأمر بالمستويات وما شابه ، رزق من الله واجتهاد منك ، وفي الأخير ستحصد ما تستحقّه ، فلِمَ أقارن نفسي بغيري ؟ لمَ قد أنظر بحسد وغيرة لمن هو أفضل منّي ، وإن يكن ، النّاس درجات ، ولكل منّا ميزته ، قد أكون جيّدة في أمور معينة وسيئة في أخرى ، قد أمتلك شيئا وأفقد آخر ، ليكن في علم الجميع أنّ الله عادل ، ولن يميّز أحدا عن آخر ، مسألة امتيازات ومساوئ ...

هكذا هي عادتي ، أمثّل دور الشّخص الطّيب ، أتعرّض لما لكم يكن

بالحسبان ، أبتسم وفي عيني بحر من الدموع منعتها من الانهمار ، ثمّ أعود لأبكي خلف الجدران .. في كثير من الأحيان وعندما لا امتلك القدرة على التّحمل ، أرتمي في أحضان والدي ، أفصح لهما عن مشاعري ، وأحيانا أسئل أبي باقة من الأسئلة المتكررّة ، أستمر في السؤال إلى أن أتعب ، طبعا هي بلا أجوبة ، أقول له لماذا قد يحدث هذا معي ، ولماذا أنا ، هل أنا سيئة ، هل فعلت أمرا خاطئ.... ألقي اللّوم على نفسي مع أنّي أدرك أنّها بريئة !

لازلت أواجه أغلب الأمور بصمت تام ، صمتي هذا ليس ضعفي ، وإنّما هو كرامتي وقوّتي ، هل جرّبت أن يحطّم شخص قلبك لسبب مجهول ؟ هل تعلم معنى أن يغدر بك من فتحت له باب قلبك ، وظننته يستحقّ كلمة صديق ؟ هل جرّبت أن تتحمل عبئ قيامك بشيء ....لم تقم به في الأصل ؟ وهل سمعت إشاعات مجهولة من أفواه مجهولة فقط بهدف تحطيم سمعتك ؟ فقط الغيرة والحسد يجعلان القلب يشتعل ، لا أدري أيّ ذنب اقترفته كي أحصد هذا ، ولكن هل نجحوا فعلا ؟ بالتّأكيد لا فكما قلت سابقا ، صاحب الحقّ لن يخيب !

هل لاحظت كم التّناقض واضح في شخصيّتي ؟ فتحت المجال لأحدّثك..

رغم أنّني أعلم بأمر أُذنيك المسدودتين ، أنت بالتّأكيد لا تملك رغبة في سماع كلامي ، ولِمَ قد تفعل ، مالحاجة لذلك ! لكنّني أظنّ انّك تعلمُ جيّدا ... كم أنا كثيرة الكلام ، لذا لا تتوقّع منّي أن أصمت ، وإن كنت صرّحت قبل حين أنّني سأغلق الموضوع ، سأعود للمكان الذي ركنت فيه مركبتي ، وسأواصل طريقي المجهول ، بلا دليل ولا خريطة ، سأتكلّم حتّى يجفّ حلقي ، سأتكلّم إلى حين نفاذ حبر قلمي ، أو إلى أن تختفي أوراقي ،إلى أن ينفذ الوقود ! سأغلق هذا الكتاب الذي كتبته وكلّي ثقة أنّني سأجمع أوراقا مبعثرة مجدّدا وأسرد ما نسيت سرده ، فأنّى لهذا المكان الضّيق ، وهذا الوقت القصير أن يجمع كلماتي ، كلماتي لن تنتهي وإن قضيت الليل والنّهار في إحصائها ، بعضها أظهرت نفسها الآن ، والبعض غادرت لمهلة كي لا تثقل عليّ ، لكنّها ستعود بلا شك ، ستعود لأعيد أنا الكرّة ، وأقول أنّ الموضوع حُل ، والصّفحة الأخيرة كُتبت والكتاب أُغلق، لكنني لن أغلقه، بل سأكتب من جديد !

لذا لو سمحت ، وماحاجتي في طلب إذنك ، أنا حرّة في أيّ حال ... إن كنت تريد أن تعلم المزيد ... رغم أنّني وعدتك أن لا أفصح إلا عن القليل ، فبعض الأمور حقّا لا يمكنني وصفها ، لا أجد كلمات مناسبة

لها ، ولم أتمكّن بعد من فهمها ، لا يهمّ الآن ، فأنا كنت سأحدّثك عن الصّدمة التي سبّبتها لي ، هل تعلم كيف يبدو الأمر ؟ تماما وكأنّك عشت كابوسا في نومك ، ثمّ فجأة استيقظت على مشهد مروّع ، مشهد سمح لنفسك أن تصعد لأعلى سماء وتعود من جديد ، مشهدا جعل قلبك يتوقف لتلك اللّحظة ليتأكد أحقيقة تلك أم خيال ، أو بالأحرى مشهد أفقدك طاقتك ولم يتركك تحرّك ساكنا ، عجزتَ عنده عن فعل أيّ شيء ، حتّى تنفسّك خارج عن سيطرتك ، ثم وبعد لحظات استيقظت بالفعل ، لكنّك عندها ستتلقّى عكس ما تلقّيتُه أنا ، ستقول ... الحمد لله ، ليس سوى حلم ، ليس بالأمر الواقعي ..

أمّا أنا .... كان لي نفس الموقف معك ، لكنّك تلقّيتَ نهاية جميلة ،وشعرتَ بالرّاحة بعدها ، على عكسي ، فلم يكن الحظ حليفي هذه المرّة استيقظتُ على أرض الواقع لأهرب من ذاك الحلم المزعج ، ثمّ أدركت أنّه الواقع بذاته، هنا ، ولو صادفت ذلك ، ستحاول الهروب من حلم أقسى ، حلم أنّك تواجه الواقع ، لكنّه في النّهاية ليس حلما ، فأيّ صدمة كَتِلك !

أصدقك القول ، ولن أخفي عنك أنّني أصبحت أخاف منك كثيرا في بداية الأمر ، ولا أظنّ أنّني تخلّصت منه بعد ، صرتَ مصدر رعب لي، لا تكن جادا فأنا لم أعن أنّك فعلا مرعب ، لكن ما لا تعلمه أنّ المواقف من هذا النّوع تبقى في قلبي ، وتُحفظ في ذاكرتي ، لا أستطيع التّخلّص منها، والأسوأ من ذلك ، تتحوّل إلى مصادر خوف وهلع لي ...

هذا متعلّق بجانبي النّفسي فقط ، ولا أدري بالتّحديد لماذا يتكرّر الأمر، أظنّ بأنّني في حاجة للتّحدث أكثر كي أُوضّح لك..

سأكون صريحة جدا ، فلا داعي لأن أخفي هذا الأمر ، والذي لا يد لي فيه ، أنا حقا أخاف من كلّ شيء تقريبا ، وأصاب بالرّعب ، بغضّ النّظر عن حجم الموقف ، مهما كان بسيطا أتأثّر به ، إضافة إلى ذلك ، لا أصيب بالذّهول لما قد يحدث لي ، فمن الطّبيعي أن أتعرّض لمواقف سيئة أو مخيفة وهذا أمر عادي ، لكنّني أدخل في صراع نفسي ، ثمّ ... أتذكّر أشياء كثيرة لثوان معدودة ، عندها أصبح خائفة حقا..

عندما كنت في سنّ الخامسة ، سأعود بالزّمن إلى الوراء ، 10 سنوات مضت ، كان جسدي كالدّمية ، طفلة صغيرة لا تتحمّل ثقل حركاتها البسيطة ، لكن ماحدث في تلك المرّة أشبه بالكابوس تماما ....هل أنا

بحاجة لأروي القصّة ؟ لا أظنّ أنّها مهمّة بالنسبة لك ، لكنّها بالتّأكيد سبب في ضعفي .

يومها ، كانت الرّياح تعصف بشدّة ، السّماء ملبدة بالغيوم ، وأغصان الأشجار تتمايل ، أبي يعمل في مدينة أخرى ، وأنا لم أنتظر أختي كما كانت تتوقّع أمّي !

خرجتُ من المدرسة وتوجّت إلى البيت رفقة صديقتي التي تسكن على مقربة من بيتنا ، كنّا نمسك بأيدي بعضنا ، تدفعنا الرّياح للخلف فنتوقّف للحظة ثمّ نواصل ، في تلك اللّحظة كنّا نستمتع ونضحك من أعماق قلبنا ، فالعاصفة لم تكن شديدة وقتها ، كانت الرّياح لاتزال هادئة ....

وكأنّها انتظرت تلك اللّحظة ، عند ذاك المكان الذي افترقنا فيه ، حرّكت قدمي لأواصل طريقي إلى المنزل ، هنا جنّ جنون الرّياح ، بدأت تعصف بشدّة ، لم أشهد في حياتي عاصفة كتلك ماعدا التي تعرض في الشاشة ، أمّا أن أشاهد الأشجار الضّخمة تتحطّم ، والبيوت العتيقة عاجزة على الوقوف في وجهها ، أمر مرعب حقا ، وفي أيّ عيون ، عيون بريئة لطفلة ضعيفة لم تتقن بعد المشي بصفة جيّدة !

سقطتُ أرضا في تلك اللّحظ ، وأُصيبت جبهتي بخدوش ، وبالتّأكيد شرعتُ في البكاء ، ثمّ حاولت النّهوض فلم أستطع فالرّياح تستمر في دفعي وأنا مرميّة هناك ، مازاد من رغبتي في البكاء والصّراخ ، رفعت رأسي لأجول بنظري ، لم أجد شخصا كي أستنجده ، ومالذي تتوقعون أن أفعله ، بالفعل انفجرت بالبكاء وصرخت حتّى على صوتي الأرجاء ، لو كنت في بيتنا كان من الممكن أن يسقط سقفه على رأسي من شدّة صراخي وصوتي المزعج ، لكنّني في الخلاء ، أصرخ وأنادي هل من مجيب ، لكن بلا جدوى ، أنّى لهم سماعي وصوت الرّياح يطغى على الأجواء !

كنت خائفة جدا ، لم يكن بيتنا بعيدا لكنّ الطّريق بدت طويلة جدا ، فأنا لم أستطع التّوازن ولو لثانية ، أسقط باستمرار تماما كطفل يتعلّم كيف يثبّت خطواته ، لكن على الأقل هو في أمان ، أمّا أنا ... هنا وحيدة لا إنسان ولا حيوان في الخارج ، لا شيء سوى حبّات الرّمل المتناثرة التي آذت عيناي ، الرّياح التي تزمجر مفتخرة بقوّتها ، ومنظر الأغصان تتحطّم واحدة تلوى الأخرى لتسقط أرضا ، فإذا عجِزتْ بطولها وعرضها ، كيف لمخلوقة مثلي أن تقاوم !

لم أتمكّن من الرّؤية بوضوح ، لكنّني لمحتُ شيئا بجانبي ، في الحقيقة لا أعلم ماذا يكون ، لا أهتمّ ولن أهتم لذلك، الأمر الجيّد انّه قابل للتّشبث ، كان علبة حديدية خاصّة بالمياه أو الطّوارئ ، لا أدري صراحة ، لكنّها توجد في معظم الأحياء ، حسنا .. أسرعت وعانقت ذاك الشيء بقوّة، أمسكته وأحطت ذراعي القصيرتين به ، ارتحت قليلا وجلست ، ثمّ تفرّغت لدوري في المشهد ، الصّراخ والبكاء ، الأمر الذي أزعجني كيف لم ينتبه لي أحد ، ولماذا لا يمرّ أحد من هنا ، كنت أتخيّل نفسي مكان تلك الأغصان المحطّمة ، وأدركت أنّ تلك صورة لما ينتظرني ... أكاد أقسم أنّني لو لم أتمسّك بذاك الشيء لم تكن الرّياح لترحمني ، كانت سترمي بي بعيدا ، كانت لتقضي عليّ ، أو ربّما إن حالفني الحظ ، أعود كزجاجة مكسورة !

للحظة ما ، فقدت طاقتي تماما ، جفّت دموعي والتّعب أنهكني ، لم أستطع التّحمل ، خصوصا يداي ، فقد تعبتا كثيرا ، لم أمض وقتا طويلا لكنّه مرّ بطول يوم كامل ، استسلمت لكلّ شيء ، وكدت أن أنام ، أغمضت عيناي حقّا فقد كانتا تؤلمانني بشدّة ، ثمّ وفجأة ، مخلوق بشري ، لحسن الحظ وبحمد لله ، ظهر أخيرا كائن في الأرجاء ، لم أشعر به الّا

حملني ، فوقفت مندهشة وتشبثت به بقوّة ، كنت خائفة لدرجة أنّي غرزت أصابعي النّاعمة في كتفه بقوّة ، كان ذاك ابن جار لنا وكم أنا ممتنّة له ، وضع يديه على عينَيَّ فأنا دائمة الشكوى ، حتّى في مواقف صعبة كهذه ، أبدي كلّ انزعاجاتي من أبسط الأشياء ، وأشتكي من ألمي بلا توقّف .

وصلت إلى البيت ووجدت أمّي في انتظاري ، كانت حقّا على وشك الخروج فهي لم تطمئن لي رغم انّها أوصتني ان أنتظر أختي في مواقف كهذه .عانقتني بشدّة ودَهشت لحالتي تلك ، حتى غمرت الدّموع عينيها، استسلمتُ للنّوم غورا ، لكنّ الصّدمة بقيت في نفسي ، لا أستطيع النّوم بمفردي وكثير من الأشياء تغيّرت ...

فقدت الكثيرة من الثّقة بالنّفس يومها ، هل تصدّق أنّه لحد الآن لازلت أخاف كلّ ماتذكّرت؟ قد لا تعط للأمر أهميّة كبيرة ، لكن أهنالك صدمة أكثر من التي يتعرّض لها قلب بريء ؟ الآن حقا أنا أخاف ، أخاف السّير بمفردي بل لا أطيق ذلك ، أخاف إذا سمعت صوت الرّياح ولو لم تكن قويّة ، وأخاف من أيّ شيء يحدث في الأرجاء.... إنّها مجرّد سخافات لا غير ، لا بأس ، أظنّ أنّني أطلت الحديث رغم أنّني

لم أضع هذه الرّوايات في حسباني ، لكنّها عادتي ، لقد بدأت لتوّي وسأروي المزيد!

أنت لا تعلم .. أنّني فقدت الثّقة بالشّباب تماما ، أجل أخاف من الجنس الآخر وأعني بكلامي الّذكري ، أخاف كثيرا ، في طفولتي أيضا ، وأعتقد نفس السّن ، عشر سنوات إلى الوراء ، كدت أن أتعرّض الى تحرّش جنسي من شاب عديم الخلق ، عديم الضّمير ، ولو امتلك قلب بشري ما سمح لنفسه أن يقترب من طفلة لا تعي شيئا في هذه الحياة ، كيف لي أن لا أنصدم ، والأمر المثير للعجب ، كاد أن يستغلّ فرصة كون المبنى الذي أسكن فيه مظلما ! ولا أحد في الأرجاء ، سوى فتاة بريئة خرجت لتلهو مع أقرانها ، اقترب مني بلا رحمة ولا خوف ، والحمد لله ،

حنجرتي ذهبيّة ، لست من النّوع الهادئ من الأطفال ، بل أستطيع أن أهزّ الأرض ومافيها لمجرد خدش يصيبني ، هكذا كنت في طفولتي لكن الأمر تغيّر جذريا عندما كبرت ، الآن أبكي تحت وسادتي في صمت، ولا أرغب لأحد أن يشعر بذلك !

حتّى لا أخرج عن موضوعنا ، كما أخبرتكم ، ذاك الوحش ، حتّى في مظهره ، ورائحة ذاك السم تفوح منه ، يقترب الى قلب طاهر ونقي ،

لن أروي تفاصيل أكثر ، فالأمر المهم لم يحدث شيء بفضل الله ، ففي آخر لحظة صرخت وخرجت أمّي . ثمّ كان له حساب جاد مع والدي.. ليس هذا فقط بل كثير من الحوادث وقعت مع هذا الجنس الثّاني الذي لا أنتمي له، جعلتني أترك ميزاته وأرى مساوئه فحسب ، فقدت الثّقة بذاك الذي يسمّى ذكر، لا أتكلّم عن الجميع ، فأبي مثلا ... رجل بحق الكلمة ، أبي رجل وكلّ صفات الرّجال يتضمّنها ، ولا يخلو المجتمع من الرّجال أمثاله ، ولا يخلو أيضا من الذّئاب والأوغاد. إذن ، لا تؤاخذني ، فهناك المزيد والمزيد ، وكلّ ما شاهدته بعيني في ذلك السن ، بقي راسخا في ذهني ، أو بالأحرى ، مصدر رعب لي ، كلّما أتذكّر .... ينقلب مزاجي رأسا على عقب ، وما يحيّرني حقا ولم أجد له تفسيرا بعد ... كلّما جال في ذهني شيء من هذا القبيل،تتبعه كلّ الأمور التي لا أريد تذكّرها

هل تعلم أيضا سبب ارتعاشي من المياه الباردة ، ومن أمواج البحر ، سبب بكائي لمزاح أحدهم معي ، سبب خوفي المبالغ فيه ... من حقّك أن تضحك ، فالأمر سخيف حقا ! هل تعلّم أن حادث غرق ، ليس الأمر خطيرا إلى هذه الدّرجة ، لكنّني كنت طفلة ، طفلة صغيرة جدا ، امتلأت رئتاي بالمياه المالحة ، فقدت وعيي ولم يلاحظني أحد إلاّ بعد

أن أدخلت القدر الكافي إلى جسدي ، عدم قدرتي على الصّراخ والبكاء وحدها تكفي لتترك صدمة في نفسي ، كنت أرغب في شدّة أن أبكي ، أنادي والدي ، انتبهوا لي فقد تألّمت كثيرا ، لا أستطيع الاحتمال ، لكن.. أحد ما انتبه لي وحملني إلى أبي ، شعرت بالبرد ، بالخوف ... تألمت وشعرت كأنّ أحدهم يطاردني ، وبالفعل بقي هذا كابوسا يراودني لفترة طويلة ، ثمّ نسيته نسبيا . لكنّني الآن ، كبرت وكبر خوفي بدل اختفائه، في بعض الأحيان أبكي بشدّة لمزحة من أختي ، يندهشون كثيرا لأمري ويسخرون منّي ، وكأنني تعمدت ذلك.

هل تعلم أنّني ضعت ، وضللت طريقي ، وفي ذات العمر ، وجدت نفسي في أحضان مكان غريب لم أره من قبل ، بسبب تهوّري ، فقد اتّبعت بنتا رغم أنّنا كنّا في سن بريء ، إلاّ أنّها قادتني حيث وصلت ، ثمّ تركتني ، فقدت طاقتي في البكاء يومها ، وكان المكان معزولا بعض الشّيء ، لا أدري لماذا لا يمرّ عليّ أحد عندما أحتاج لذلك ... لا بأس أحداث طفوليّة فحسب ولا تعدّ شيئا ، لكن صدّق أولا ، فأنا لا أحتمل فكرة أن أسير بمفردي في أحضان الطّرقات ، بل لا أفعل ذلك الاّ نادرا ، وان كنت وحيدة ، فاعلم أنّ ضربات قلبي أسرع من أن تحصيها ،

واعلم أنّ الخوف أكل جسدي ، ولم يترك من قلبي سوى حطام تالف !
يا لحماقتي ، الآن ، أنا أضحك من أعماق قلبي ، لماذا قدا أروي لك تفاصيل كهذه ؟ أم أنّني لم أعتد الفراغ الذي تركته بعدك ، لازلت أشاركك قصصي ولو أنّها مملة ، هذه مجرّد لحظات تذكّرتها الآن ، وذكرتها لك ... لأخبرك أنّك نجحت في الاختبار ، وانضممت إلى المجموعة !
هنيئا لك ، الآن ، أصبح مخلوق بشري مثلك ، يشكّل كابوسا لي ، أليست مزحة ، مزحة سخيفة حقا ...
بسبب كلمات قلتها لي ... صارت لدي فوبيا الإنس أمثالك !
لن أمنعك من الضّحك ، حتّى انّك لم تترك حصّة لهذه اللّحظة ، لن أخفي شيئا عنك ، فأين المانع لو أخبرتك الحقيقة ، حقيقة أنّني أخاف منك ، ليس من روحك ولا من جسدك ، وهل كنت تظنني أعني ما إن أراك أفرّ من مكاني أو ماشابه ؟ ليس هذا قصدي ، أبدا ، وإنّما ، كلماتك ، عندما تراودني في وحشة الظلام ، آناء اللّيل ، حقّا أشعر بالخوف ، من يدري ... ربّما لا تكون شخصا عاديا !
آسفة ، لكنّني عدت إلى النّقطة التي بدأت منها ، وتذكّرت تلك اللّحظة، لن أعطيك الزّمان والمكان ، ولن أخبرك أيّها كنت أقصد ،

سأكتفي بالسّرد وأنت حتما ستفهم ما أعنيه !

في تلك اللّحظة ، تمنّيت الموت ! تمنّيته بشدّة ، هل تصدّق ؟ كنت أريد من أعماق قلبي أن تحدث معجزة من السّماء ، فتنشقّ الأرض وتبتلعني ، ويختفي أثري معي ، كنت أريد أن أمحو ورائي كل شيء متعلّق بي ، كلماتي ، مشاعري ، اهتمامي ، طيبتي ، غبائي ، وكل مامررنا به ، كلّ ما عشته معك .

الآن ، أخجل من نفسي ، بل الخوف دمّرني ، يمكنكم إضافة النّدم واللّوم ... آه ، أعني بكلامي كلّ ما صاحبهم من مشاعر سلبية .

كرهت نفسي يومها ، كرهت قلبي ، كلّ شيء ، حتّى الحياة لم ألمح منها سوى جانبها المرّ والذي لم يكن مرّا بالأصل لولا تصرفي الحكيم ! نسيت تماما أنّني لو جرّبت وضع الحزن والسّعادة على كفّتي ميزان ، لطار الحزن بعيدا ولكان أثره قد اختفى حتما ، فثقل الفرح بالتّأكيد أكبر ، لكنّنا نواجه الأمور بالعكس ، نحن في عمى عن الجانب المشرق بمجرّد شيء بسيط يلامس قلبنا فيشتّته !

حياتي رائعة ، لا شيء ينقصني ، لكنّني أفسدها بنفسي ، ولا أدرك غايتي من ذلك ، أجعل النّاس يتدخّلون فيها ليعكّروا مزاجي ، وهل

أنا حمقاء لهذه الدّرجة كي امنحهم اهتماما خاصًا ؟ حسنا ، سأتمهّل قليلا، فأنا لا أكترث للبقيّة ، لكن أنت ! أنت يا من منحتك قلبي وعقلي ، أهديتك كلّ تلك المساحة لتشغلها ، كلّ ذلك الاهتمام ... هل تقابلني بهذا الشّكل ؟ الأمر الواضح والذي لا يحتاج الى نقاش أو توضيح ، في كلّ الحالات ومهما كانت أسبابك الخاصّة ، أنت مخطئ ! وهل تستخف بما قلته ، سأخبرك لما قلت بأنّك مخطئ ، ومن لمفترض أنّك تعلم هذا بنفسك !

لنفرض أنّك لا تحبّني فعلا ، ولا بصفة الصّداقة ، ولا حتّى الأخوّة ، أو من الأفضل ، لنفرض أنّك تكرهني ... وهل هذا يعتبر سببا لتكسر خاطري ؟ هل في هذا حجّة لك ؟ الآن ..... الأمر متعلّق بأخلاقك يا..رفيع الخلق ، هذا يخصّك وحدك ، لا ذنب لي ، فحتّى لو كنت تضمر الكره لي ستنتبه لكلامك ، ناهيك أنّني لم أقترف ذنبا في حقّك ، بالعكس تماما تجنّبت كلّ ما قد يزعجك ، لم أتفوّه بلفظ غبي ، ولم أفعل ما قد يجنّ جنونك بسببه ، لا تنكر أنّني منحتك قيمة أكثر مما تستحقّها ، فما الدّاعي إذن ؟! أنت أحمق ، لا تقابل الحسنة بالحسنة ، ماعساي أن أفعل لك ، إن لم تدرك حقا سوء تصرّفك ، فأنت معجب به فعلا ،

معجب بكلامك العذب وقلبك الطّيب ، الآن أثرت إعجابي بالفعل ، لن أفسد عليك متعتك ، صدّق كونك مثالي ، استمرّ في ذلك!

و الآن لنفرض أنّك تحبّني ، أي تدّعي عكس ذلك ، أنا لا أفكّر بهذا الشّكل فلا تقلق ، بل أعالج الأمر على كلّ نحو لالتمس العذر لك ، يا من لا تستحقّ ذلك .

إن كنت بالفعل تحمل مشاعر اتجاهي ، أو لست متأكدا بعد ، لا زلت في حيرة من أمرك ، أو حتّى تحبّني كصديقة ، كأخت ، أو ربّما لأنّي إنسان مثلك ! لا يهم ، أيّن يكن موقفك ، فأنت مخطئ أيضا ، هل تعتقد أنّ تصرّفك بهذا الشّكل سيجعلني أترجّاك أكثر أو... أسعى وراء حبّك بكلّ ما أملك من قوّة ، أم بذلك ستجذبني إليك أكثر ، وهل تظنّ أنّ أسلوبك الغريب ذاك ... أن تتظاهر بالصّلابة والقوّة لتخفي مشاعرك بطريقتك الفضّة تحت جناح الرّجولة ، كما قلت سابقا ، أتظنّ أنّه صائب ؟ في حالة كهذه أمامك خياران ، ، أعني أمام الرّجل العاقل ، من يحمل صفة رجل ...إمّا أن تكون صريحا ،فلا داع لإخفاء الحقيقة ، لا أعني الاعتراف بالحب ، فكما قلت لك لا أعرف موقفك ، ستكون صريحا حسب مكانتي في قلبك وهذا يكفي ، لاعيب ولا مانع في ذلك.

أو أن تخفي ما في باطنك وأنت حر في ذلك ، وتتظاهر بعدم وجود شيء ، فتواجه الأمر بكلمة واحدة ، لا أستطيع ، علاقتنا مستحيلة ، ..... أو في الأصل ، نسيت بالفعل ، لم أرسلت إليّ رسالتك الزّائفة من البداية ؟!.

يا أخي ، أمامك معجم اللّغة بأكمله ، وإن لم يكن كافيا ، لغات العالم بأسره ، هل عجزت عن اختيار كلمة وداع مباشر لائقة مهما بلغت قسوتها ؟ حسنا ...عجزت عن ذلك ، وهل عجزت عن تجاهلي ؟ حسنا وإن يكن ذلك ، عجزت أيضا أن تصمت ، أن تغلق فمك وتغادر بصمت ؟ عجزت أيضا عن إمساك يدك ، وتمنعها من إرسال تلك الرّسالة؟ أن تربط لسانك لدقيقة ؟ أن تكتم غضبك وما الدّاع للغضب في الأصل ؟ أن تمنح من وقتك بضع ثوان ...تعيد قراءة ما أرسلته ليستقبله غيرك ، لتتأمّل في كلماتك ؟...أمامك الكثير من الخيارات البسيطة ، كنت ستتمكّن أن تحافظ على مكانتك بعد رحيلك ، أن أذكرك بعدها على لساني بخير وأدعو الله أن يسعدك كما كنت سابقا ، وليس كما هو الحال عليه ، أتذكّرك ، فلا أجد كلاما أوجّهه لك ، في أيّ حال لن أستطيع أن أكرهك ولا أضمّر الحقد لك ، لكن لم تعد لك أيّ مكانة في قلبي

أنت أدرى باختيارك ، فأنت لم تبصر كلّ تلك السّبل ، ولجأت الى طريقك الخاص ، طريقة لا يتبّعها سوى الوحوش ، عديمي الرّحمة ، لا يهمّني رأيك ولا ردّة فعلك ، فلي الحق في قول ما أريد ، على كلّ حال ، لا أظنّ أنّك ستنزعج ، فأنت لن تقرأ كلماتي بالطّبع ولن تهتم لأمرها ، فلم قد أهتّم لأمرك الآن !

نسيت تماما أن ... أخبرك عن اليوم الذي قصدته ، سأعود لحديثي السّابق .

أنا الآن .. أدركت جيّدا أنّ غبائي فاق الحدود ، وقد بالغت كثيرا ، آه ، وأيّ جرم هذا ، كيف سمحت لتلك الدّموع أن تنسكب ،أذكر أنّني قضيت أيّاما حبيسة في غرفتي ، أتظاهر المرض كي لا أثير قلق عائلتي ، ألجأ الى وسادتي وأذرف الدّموع حسب قدرتي حتّى أنام بلا شعور منّي . وسادتي تشهد على ذلك ، فقد ارتوت من دموعي ، تبلّلت حتّى أنها سئمت من تكرار الأمر .

أنت على علم بماحدث ، لكنّك زدت الأمر سوءا ، لأنّك لم تستمتع كفاية ، قضيت يوم العيد ... ليله ونهاره بمفردي ، كنت أعتبرك أجمل أعيادي، لكنّك جعلت من هذا اليوم ... الذي انتظرته بشوق كي نصلح ما بيننا ،

حلما مخيفا . كنت أظنّ أنّنا بمجرّد أن نهنّأ بعضنا ، سيتحسّن الوضع ، لم تكن مجبرا على الحديث معي في أيّ حال ، فلم تعمّدت ذلك؟ أنت على حق ، تشاهد فلما مباشرة أمام ناظريك ، أحداثه مؤثّرة حقا ، لكنّك جعلت منه مهزلة لتستمتع بوقتك ، كم أنت ذكي .

لا أصّدق أنّني منعت نفسي من فرحة ذلك اليوم ...بسبب أحمق مثلك ، بسبب مخلوق عديم الضّمير ، صاحب قلب فولاذيّ ، أين لك بتلك الجرأة ، من أين أتيت بها ؟ كيف لضميرك أن لا يتدخّل ؟ وهلّ لك ضمير بالفعل؟

تواصل تدميري بعد كلّ محاولة منّي لبناء نفسي ، أوشكت على أن أتماسك ، فهدمت السّقف فوق رأسي ، لم قد تفعل ذلك ، ما غايتك ، لقد ملأت الكأس ، ملأتها ... والآن تسعى لإفاضتها ؟

كنت سأغلق الموضوع ، لكن ..الأمر ليس بيدي ، ذاكرتي عادت للحياة ، عادت لتسرد لي الأحداث التي عشتها بسبب حماقتي وغبائي ، بالله عليك أخبرني ، أين المتعة في أن ترى عيونا ملتهبة ، اختفى لونها الأبيض وأصبحت محمّرة كالدّم ، ما الجيّد في أن تشاهد بناء القلوب يتحطّم ، وهل كلمات اللّوم التي أكررها في نفسي تروق لك ... تشعرك

بالرّاحة ؟ هل استمعت حين كررت كلمة أكرهك ؟ رغم أنّني لم أظهرها لك ، ولم أكرهك بالفعل .. أو ربّما أعجبك الأمر عندما تمنّيت الموت بسببك ، هل هذه غايتك؟ أن أموت فعلا ...أن يموت فؤادي وأصبح جسدا بلا روح .. أن يختفي أثري من هذا العالم الذي تعيش على متنه؟ عذرا ! فهذا ليس من شأنك ، والأرض ليس ملكا لك ، فلا تحلم بشيء كهذا .

أُجبرت على المرض يومها .. بعد أن أمضيت البارحة أتجهّز كغيري من الفتيات ، وبسعادة وسرور ... أجبرت على كتم غضبي ، على إخفاء حزني ، على منع دموعي من أن تنهمر وأنا أقرأ كلماتك ، أعني .... وأنا أتلقّى طلقات مسدّسك ، لم أرد لتلك الأعين التي كانت تحيط بي أن تنتبه لي ، كدت أنفجر ، وقمت باستغلال أول فرصة انفردت فيها ، أردت أن أبكي بشدّة ، أردت أن أمسح كلماتك من قاموسي ، أردتك أن تختفي ، أو أردت لنفسي أنا أن اختفي ، بقيت وحدي أبكي بشدّة ، كم تمنّيت لتلك الدّموع أن تصحب ما في ذاكرتي ، أن تخرج أفكاري من هذا السّجن وتحرّرها بعدا عنّي ، أن تتعرّض مشاعري نحوك بحادث ولا تنجو منه ....أرهقت ، تعبت ، عادة ما أبكي لكي أرتاح ، أمّا الآن ..

أريد أن أرتاح من البكاء !
شعرت بطاقتي تختفي ، ألم يكفيك ما سببّته لي من الفقدان والخيبة ، لتضيف الى رصيدي ... النّدم واللّوم ؟ هل تريد منّي حقا أن أجرم في حق نفسي ؟ ما نيّتك ، اخبرني !
عندما تجتمع كلّ هذه الأشياء ، في قلب بريء لم يتلاءم جرحه بعد .. ولا أظن أنّه سيلتئم ، يحدث أمر فضيع ، من صدّق أن كلّ هذا بسبب مخلوق بشري ، بسبب كتلة عظام تكسوها قطعة لحم ،بسبب آدمي من طينة ، كيف من المحتمل، أنّ كائنا بحجم الذّرة أمام عظمة الكون ، هو من سبب الألم لقلبي لهذه الدرجة !
أمضي يومي وحيدة .. بينما يجتمع البقية ؟ كئيبة ... بينما هو يوم فرحة ؟ أفكّر وبالي مشغول ... بينما أنت مرتاح ومبتهج ؟ ....
هل هذا أمر عادل ، كان عليّ أن أتمالك نفسي قليلا ، أن أتمهّل قبل أن أفعل ذلك بنفسي بسبب شخص مثلك ، صدّقت الآن أنّني غبية .
أليس الأمر مضحكا ...بعض الشّيء ، من الأجدر لو وفّرت تلك الدّموع الغالية ، لأنك لا تستحق قطرة واحدة ، لو وفّرتها لأمور أكثر أهمّية منك ، كأن ... أنال علامات لا ترضيني ، أو أفسد الطّبخة كالعادة ، أو

أبكي مثلا عن استفزاز أختي لي ، عند اشتياقي لأمّي وهي بقربي ، أو ربّما ممازحة أبي لي ، عندما أصاب بخدوش بسيطة ، آو أحرق أصبعي أو.... أرأيت ، أجل تفكيري ساذج كثيرا ، وطفولي أيضا ، لكنّ هذه الأمور التي تبدو سخيفة لك ... هي أهم منك ، أهمّ بكثير !

أنت لا تراني الآن ... أنا بعيدة عنك ، لكنّني سأخبرك عن حالتي الآن، أنا أذرف ماتبقّى من الدّموع التي تركتها ، وقد تعمّدتَ أن تترك لي هذا القدر ، حتّى أخصّصه لهذا اليوم الذي أكتب فيه مشاعري ، كنت تعلم أنّني سأتذكّر وسأحزن لواقعي المرّ ، وكنت تعلم أيضا .. أنّني سأحزن أكثر إذا لم تعد لي قدرة على البكاء ، على أن أريح نفسي بهذا الأسلوب ، فهذا كلّ ما أمكنني القيام به.

أنت تعلم أنّني سأبكي فور إحياء ذاكرتي ، لكنّك تجهل السّبب ... أنا لا أبكي ... لأنّني اشتقت إليك ، لا أبكي لفراقك ، ولا للفراغ الذي تركته ، ليس لأنّك غادرت عالمي ، ليس لأنّني فقدت ، ولا لخسارتي لك نهائيا .... لست حزينة لأنّني لن أجالسك وأتكلّم معك كالسّابق ، ولا لأنّني سأشتاق لتفاصيل وجهك ، فهو لم يعد ذاك البدر المنير الذي لا أملّ من مراقبته ، لست يائسة من أن أفتقد صوت خطواتك وهي تقترب مني

ولا لأنّي سأشتاق لحنجرتك ،لنبرة صوتك ، ولا لأن أغوص في عينيك، لم أصب بالخيبة ... لأنّك لم تعد ملكي ، فأنت لم تكن كذلك منذ البداية، ولا لأن فارس أحلامي قد ضاع ، لست آخر رجل على هذه الكرة الأرضية ، لست رجلا بالفعل ، ليس العالم خاليا ممن يحملون صفات الرّجال ، ويبحثون عن قلب أنثى كقلبي ، هناك العديد ... ولست بحاجة لأخبارك ، من أكون حلما في نظرهم ، لست أقول هذا كي أعاتبك ، ولا غرورا ولا تكبرا ، في الأصل .. لا أنتظر أيّ رجل ليحبّني وليست هذه غايتي ، وإنّما .. هو الواقع يا صديقي ، فأنا فخورة بنفسي كثيرا ، أعتز بأخلاقي ومستواي ، أنا مثالية في عيني وفي عين والداي ، أنا غنيّة وأملك كنزا يفتقده الكثير ، أملك قلبا ... سخر من الماس ، أملك روحا أعذب من الماء ، أملك عقلا ... أغنى من كنوز الأرض ومافيها ، لا أحتاج لرأيك ولا رأي ذاك ولا رأي آخر، مادمت أفعل الصّواب وأفكّر جيّدا قبل أن أخطو خطوة إلى الأمام أو حتى إلى الوراء ، ما دمت تحت مراقبة والداي ، ماداما يرشداني ، وأنا بالفعل لا أقوم بشيء لا يرضيهما ، مادمت أحفظ القرآن ، وأهتم بصلاتي ، وأسعى لرضا الرحمان ، ما دمت اهتمّ بدراستي كاهتمامي بنفسي ، أغذي

عقلي كما أطعم بطني ، أزيّن ذكائي وذاكرتي كما أعتني بمظهري ، أسعي لتجميل باطني بقدر جمالي الخارجي .... فأنا فخورة بنفسي ، أحبّ ذاتي وأعلم قيمتها جيّدا..

أنت تتساءل لم أبكي إذن ... سأخبرك ، أنا أبكي لأنّني آذيت نفسي كثيرا، أبكي لأنّي تذكرت الذّنب الذي اقترفته في حقّها ، والألم الذي سببته لها ، وماذا فعلت بها ، أبكي لأنّني أهدرت كمّا من الدّموع ، أفقد عينيَّ جمالهما ، أبكي لأنّي لوّثت قلبي باسمك وحبك واهتمامي لك ، أبكي لأنني فتحت لك باب قلبي ، تركت لك المجال لتتجوّل فيه براحة وحريّة، منحتك مساحة أوسع عليك بكثير ، أعطيتك مكانة لا تليق بأمثالك ، أبكي لأنّي تركت لك المجال لتدمّر كياني ، لتفسد جمال ابتسامي العذبة ، أبكي وبشدّة ... لأنني تركت الطّريق لكلماتك الموحشة لتصل إلى قلبي بلا عائق يمنعها من ذلك ، تركتها تجول في داخلي لتشوّش أفكاري ، لترهق قلبي ، لتوتر أعصابي ، و لتنهك جسدي ، تركت لك الفرصة .... لتفقدني كرامتي ، لأصبح لعبة بين يديك ، تتلقّى الدّور الذي اخترته لها بنفسك ، تؤدي الجانب الذي تراه مناسبا لمسرحيّتك ، ثم بعد ذلك تشاهد ذاك الفلم ... لتستمتع بدل أن تتأثر، تركتك تحضر في صبحي

ومسائي لتستولي على أفكاري ، لا تفارقني حتّى في أحلامي ، فقط لأتعلّق بك أكثر ، وأحبّك أكثر ، وأعشقك أكثر فأكثر ، فيصبح الفراق أصعب ، تركت رجلا حقيرا يفسد قلبا بريئا ، أو بالأحرى شبيه رجل ، تركتك تتصرّف بحرّية ، لم أستطع منعك ، لم أضع حدا لك ، أبكي لغبائي الذي لا يستحي أن يغادرني وأرتاح ، أبكي لدموعي التي تشبه الغيث ، لكنّ المطر يتوّقف إذا ارتوت الأرض،أمّا عيوني....تمطر صيفا وشتاء ، أبكي لقلبي الذي يتصنّع الطّيبة ، ولثقتي العمياء ، أبكي لعقلي الذي تتوقّف عقاربه في الوقت الذي أكون في حاجة له ..... هناك الكثير لأبكي لأجله ، الكثير يا أخي ، أمّا إن كنت تظنّ بأنّك جدير بما فعلتُه لأجلك ، فعليك أن تعلم ، أنت الآن لم تعد تعني لي شيئا ، لم أعد أشعر بشيء حميم تجاهك ، لم أعد أحبّك وأمرك لم يعد يهمّني ، الأمور التي تركتها وراءك هي التي تهمّني ،ماعدا ذلك ، احتفظ بقلبك ، بجسدك ، بعينيك ، وبكلّ ما يخصك ، احتفظ به لنفسك !

ولأكون صريحة معك ، كنت أرى أنسب عنوان يضمّ هذه الأوراق المبعثرة ...تجربة فاشلة ، لكن تمهّل من فضلك ، لا تضنّ أنّ هذا لأجلك، لا ترفع رأسك أعلى ليزداد شأنك ، فأنا أقصد فشلي في وجه

الحياة ... ليس لأنّني فشلت في كسب قلبك ، أو لأنني فقدتك ، ليس لأنّني لم أكن محظوظة فلم تكن من نصيبي ، فها هو النور يشقّ طريقه ليبيّن لي الحقائق ، وكم أدركت حظيّ ، كلّ هذا خير لي ، لم أفشل لأنّني وقفت كالأبكم أمامك ، كالغبيّ في وجه معاملتك ، و السّاذج مقابل دهائك ، لكنّني فشلت .... و بجدارة أمام هذا الامتحان ، تركت مشاعري تتحكّم في ، تركتها تحسب خطواتي ، و تنتقي كلماتي ، وتخدّر عقلي فتبعثر تفكيري ، تركت قلبي يتكلّم ، يدبّر وينفّذ ، وجعلت من عقلي شاهدا ، منظره وكأنّه اختطف لتوّه ، شريط أسود يلفّ فمه ، و حبل يقيّد يديه ، سمحت لمشاعري أن تتفوّق على كبريائي ، على كرامتي ، لم أستطع كتمانها ، لم أستطع أن أصبر قليلا بعد ، وفوق هذا لم أخرج سالمة ، من الجروح ما التأمت ، ومنها ما هلكت أكثر .... بمعنى عام ... كنت سخيفة وساذجة ، أبرزت ضعفي للحياة من تجربة لا تساوي شيئا ، ماعليّ سوى أن أضع حسابا وادرس جيّدا لما هو قادم. أمّا الآن .... حقا سأودّعك ، لا أريد أن أتحدّث أكثر ، يكفي هذا الآن وسأغلق الموضوع حتما ، سأغلق كتابك بعد السّر الذي سأبوح لك به ، لأنّك حتما تعجّبت ...كيف لي أن ألخص أمرك ، بعد 3 سنوات من

علاقتي الوهميّة بك ..في هذه الصّفحات المعدودة، لماذا لم أخصّص أسطرا كافية لأعبر عن مشاعري تجاهك ، كيف ومتى أحببتك ، وأهم المواقف التي سعدت بها بقربك ، الكثير من هذا القبيل ، تريد معرفة السّبب؟ أنا الآن لم أتحدّث سوى قليلا عنك ! فرغم أنّك لم تعد تهمّني ، ما فعلته يهمّني حقا ، والأثر الذي تركته لن يمحى ، لذا بالتّأكيد سأجعلك بطلا مهما في القصّة ..... سرّي هذا هو أنّني بعد مدّة ، أتيت لأتصفّح هذا الكتاب الذي كتبته عندما اشتدّ بي الحزن ، أتيت لأقرأ كلماتي ومشاعري ، ثمّ وجدتها غير متناسقة، وجدت أنّني أعطيتك حقّا أكثر من حقّك ، ووصفت حبّي بشكل غير لائق ، فلست نفس الشّاب الذي أحببته منذ زمن! أدركت أن مشاعري نحوك .. اختفت بشكل لا إرادي ، فلماذا أترك كلمات تفوّهت بها وقد نفذت صلاحيتها ، هي لا تعبّر عن حالتي حاليا ، لذا لن أبقيها .

لم أنته بعد ، غيّرت الأحداث .... تركت منها فقط لأرويها لغيرك ! هل سمعتني ؟ لغيرك ، أردت أن يسمعها ذاك الذي غيّر حيّاتي ، ذاك الذي تغلّب عليك ، قضى عليك نهائيا ، أنا سأستمر في الكلام ، لن أتوقّف ، لكنّه ليس موجّها لك ، لك ولغيرك هذه المرّة ، الآن تغيّر كلّ شيء ،

بانتظاري حياة طويلة ، وبدونك أيضا . أُغلق كتابك هنا ، وإن أردت ... استمر لتعرف ما يوجد بعقل عاشقتك السّابقة !

قد ينبض القلب ، فنظنّ أنّه الحب ، نجهل الكثير من الحقائق ، وننخدع بأمور وهميّة ، لاسيما في أوّل تجربة ، في هذا السّن الحرج . ربّما كنت أظنّ أنّني أحببتك ، بل أحببت ذاك الشّخص ، وأنا أعني الذي كنت أخاطبه ، لكن الكتاب أغلق ، لذا سأتحدّث بضمير الغائب ! لكنّه كان السّبب في القضاء على ذاك الحب. مخطئون ، من يقولون أنّ الحبّ الحقيقي لا يختفي ، ليس الخطأ في العبارة ، أبدا ، صحيحة بشكل كامل ، الخطأ في تفسير العقول لها ...

الحبّ الحقيقي لا يختفي ، إذا وقف بين القلبين مشاكل ، مسافات ، إذا وقعت الخلافات ، إذا كان الحبّ من طرف واحد ، ولم يدركه الآخر ، يحدث عند المواقف الصّعبة ... هنا ، إذا كان الحبّ حقيقيا ونابعا من قلب صادق ، لن يختفي ، بل سيكبر ، سيكبر وسيبحث صاحبه عن شعلة أمل ، سيفعل المستحيل لتستقيم العلاقة !

لكن .... عندما تتلقّى ضربة قاضية من ذاك الشّخص ، عندما يعلم مقدار حبّه لك ، ويستغلّ عواطفك ليكسرك ، عندما يربح المعركة

ضدّك ، ويستغلّ موقف ضعفك ليحمل راية النّصر المزعوم ، عندما يحمّلك فوق طاقتك ، يسمعك كلامه الجارح ، يحاول أن يفقدك توازنك، أن يجعلك لعبة في يده ، يستغلّك وهو على علم بالأمر ، يتجاهلك ، لا يهتم لأمرك ، هنا ، لن يختفي هذا الحبّ فحسب ، سيتحوّل إلى كره ، عدا القلوب النّظيفة التي تتحكّم في نفسها ، سيتحوّل إلى وسيلة إجرام تؤذي صاحبها ، وكابوس مرعب يفسد نومك ويعذّب روحك ليوقظها ، سينتهي وسيدفن في أعماق الأرض ، مهما بلغ عشقك ولو دام لسنوات ، مهما حفر ليستعيده من جديد لن يصل له ، أبدا ، لن بتمكّن من ذلك ، سينتهي كلّ شيء ، ولن ينفعه النّدم يومها..

الحبّ شيء جميل جدا ، لو وقع في أيدي جديرة به ، سيحقّق المعجزات ، أجل ، المعجزات ، سيفعل الكثير والكثير ، سأضرب لكم مثالا بسيطا جدا ، حتى تتقبّل عقولكم ، أنّه ... بطريقته الخاصّة يحيي الموتى !

ما رواه الكاتب القدير ، أدهم الشّرقاوي في روايته نطفة ، و آه كم أعشق كتبه ، أجد فيها كلّ ما يدور في كياني ، أجد أجوبة لأسئلتي التي عجزت نفسي أن تمنحها لي ، كلامه منسوج من ذهب ....

كي لا أطيل ، فلن أنتهي من كلامي عنه ، لما يستحقّه من الثّناء والتّقدير ، لذا سأنتقل إلى حكايته مع معشوقته أسماء ...

في ذلك اليوم ، والذي وصفه بيوم ولادته بعد أن ولدته أمّه ، وكأنه ولد وغادر العالم ، ثمّ ولد من جديد ... كان عائدا من أعماق الأرض ، من تلك الخنادق التي حفرها بيده رفقة أعوانه ، هاربا من ويلات الحرب التي تشتد في غزّة يوما بعد يوم ، كان جسدا بلا روح ، لا ترى سوى الكمّ الهائل من الدّماء التي تسربّت من جسده ، بعد تعرّضه لهجوم من أولئك الوحوش لعنهم الله ، من صدّق أن هذا المخلوق .. كان بين الحياة والموت ، يمشي ويتمايل ، قال بأنّه شعر بروحه تحتضر ، أجل ، كان يستعد لأن يستقبل ملاك الموت ليصعد بروحه إلى السّماء ، لتعود إلى مالكها ، ثمّ فجأة ، رأى ذلك الوجه ، وجه بشريّة غريبة لا يعرف عنها شيئا ، نبض قلبه من جديد واستعاد قوّته ، وقف بعد سقوطه ليتبعها كالتّائه ، لم يدرك كيف ومتى ، وجد نفسه يتعقّب أثر ذاك لملاك الطّاهر، قال بأنّها أعادت إليه الحياة ، بعثت لأمل في روحه من جديد ، وأحبّها من النّظرة الأولى ، فقاوم فقط من أجلها !

لن أروي لكم بقيّة القصّة ، ومن أراد أن يعرف المزيد ، فليذهب إلى

ذاك الكتاب ، ستدركون جيّدا معنى أن يحبّ المرء شخصا ، ستندهشون للأسطر التي سخّرها والأساطير التي ألّفها ليخبر حبيبته أنّه يحبّها .. أنها كل شيء بالنّسبة له ، رغم معرفتها بذلك ، وستعلمون كم للاهتمام والثقة دور في خلق هذا الشّعور ، الكثير والكثير من الحقائق وراء ذاك الغلاف ، بين تلك الأسطر ، سأتركها لمن يبحث عنها..أمّا أنا ، فاقتبست هذا لأجعله دليلا فحسب ، وسأقول ما أريد قوله ، مخطئ ذاك الذي ظنّ نفسه سعيدا دون امرأة بجانبه ، ومخطئة تلك التي تظنّ حياتها أجمل بلا رجل يقف إلى جانبها ، إليك أيّها الذّكر، لا تنكر مالذي يمكن أن تمنحه المرأة لك ، مهما بلغت قوّتك ، مهما بلغت هيبتك ، أنت في حاجة إلى حضن بعد حضن أمّك ، أنت في حاجة إلى قلب رقيق يشاركك همومك ، يقف إلى جانبك ، يساعدك ويمنحك الحبّ والسّعادة، هناك الكثير لتقدّمه لك ، لا تنكر دورها في حياتك .

و إليك أيتها الأنثى ، مهما حققّت من نجاح في حياتك ، وإن كنتِ تعيشين بترف ، عليكِ أن تعلمي، لم يخلق الرّجل ليكون مصدرا تعتمدينه للعيش ، ليس ليوفر لك المال والحياة التي تتمنينها فحسب ، ليس لهذا الهدف أبدا ، أنتِ تحتاجين إليه ليكون بجانبك دائما ، أنتِ بحاجة لحنانه

لقلبه ، أنت بحاجة لتنامي على صدره ، لتلجأي إليه في حزنك ، بحاجة لجسمه القويّ أن يحميك ، أنت ضعيفة بدونه ولا تنكري ، لا تستطيعين العيش بمفردك ...

هذه حقيقة ، ونحن ندركها جيّدا ، أعني ، أنّ قلوبنا تصّدق هذا لكنّنا نتظاهر بنكرانها ، ونظن بأننا نحقق القوّة والثّبات بهذا التّصرف.

خلقت حواء من ضلع آدم ، هي ملك له ، وسند له ، لنكون واقعيين ، ليست قلوبنا كما نتخيّلها في ذهننا ، نحن لا نمتلك سوى نصف قلب ، يضخّ الدّم ويؤدي دوره الحيوي ، لنستمر في البقاء ، والنصف الآخر ، موجود عند إنسان آخر ، ولو كان بينهما مداد السماوات والأرض ، ولو استلزم للقائهما عبور البحار ، من شرق العالم لغربه ، أو من شماله لجنوبه، ما يجب علينا الإيمان به .. إنّ الله إذا شاء أن يجمع بين قلبين فعل ذلك . هذه الحقيقة ، لا تقل أنّك لا تحتاج لقلب ، ولا تريد أن تفتح باب قلبك لأحد ، هذا خارج عن سيطرتك ، عندما يحين أوان ظهور نصفك الثاني ، الجزء النّاقص من جسدك ، سيثبّت في مكانه وسيسدّ ذاك الفراغ بعد انتظار ولو طال ، حتى دون استشارتك ، كلّ هذه الأمور تسير بشكل أوتوماتيكي ، لا يمكنك التّحكم في نفسك.

و بالفعل ، ليس من الضّروري ، ان تقع في حب الشّخص المناسب ، وليس كل من يلين له قلبك ... هو المقصود ، أبدا ، قد تظنّ انّك وجدت قطعة البازل الخاصّة بك ، وقد تظنّ أنها بالمقاس المطلوب ، لكنّك و بأكبر نسبة ستخطئ ، ستضنّه حبّا في البداية ، لكنّه وهم ، قد يكون إعجابا ، أو ربّما قرارا اتخذه عقلك، سيطرت عليك الأفكار الوهمية فظننت نفسك تسير في الطّريق الصّائب .

قد تمر بمحاولات فاشلة ، فتفقد الثّقة ، وتؤمن أن هذا الشيء الذي يدعى الحب ، غير موجود أبدا ، لكنّه موجود ، موجود بصفة معقّدة ، هو بالفعل أفضل شيء يحصل عليه الإنسان ، لكن ذلك يحدث فقط إذا وقع في أيدي جديرة به ، إذا دخل قلوبا تعرف معنى الصّدق والوفاء ، تقدّر قيمته جيّدا ، وقد يصير كابوسا إذا وقع لعبة في أيدي الأغبياء ، أولئك الذي يعتبرون الحياة تسلية ، فلا يمنحونه حقّه ولا يقدّرونه ، فيرتكبون جرائم باسمه ، فتسوء سمعته ويصبح مجرما في أعين اغلب الناس رغم أنّه بريء من كل شيء !

ليس من اختصاصي أن أفسّر الأمور بطريقتي ، فربّما أفكاري خاطئة ، في النّهاية ، أبقى تلميذة في يد هذه الحياة ، وسأبقى كذلك إلى الممات ، لا زلت في بداية الطّريق، والطّريق إلى العلم والمعرفة غير مسدود ، ولن ينسد إلاّ أمام مجموعة الحمقى ، الذين يظنّون أنفسهم بلغوا الكمال الإنساني، وهل هذا النّوع من الكمال موجود ، البشر على حدّ السّواء ، باختلاف عقولهم ودرجاتهم ، لن يصل أحد إلى هذه الدّرجة ، فالكمال لله ، وإنما يريد الله لنا أن نسير نحو الكمال ، لا أن نحمل صفته ، طالب العلى لن يتفوّه بكلمة بلغت غايتي ، بل يُؤَوّلُ ذلك إلى المستقبل ، سأبلغ غايتي ، أي يجعل أمامه هدف وما إن يحقّقّه ، يمر إلى الذي يليه وهكذا...

كما قلت سابقا ، فتاة خرجت لتوّها إلى هذه المسمّاة بالحياة الدّنيا، مجرّد زهرة حديثة ، تتفتح لتقابل أشعّة الشّمس ، لترى هذا العالم في أوّل أيّامها ، فراشة ناعمة خرجت لتوّها من يرقتها ،تتجوّل في الأرجاء لتكتشف الأحياء وضواحيها ، انطلقت الآن لتجول في هذا العالم الواسع ، لتدرك حقائقه بعينيها ، لتكتشف أسراره وخباياه، تتلقى دروسا ، تفقد توازنها ، ثمّ تواصل ، تعثّرها هو محفزّها في الرّحلة القادمة .

تستمر في التّقدم ، ثمّ تضلّ طريقها ، وتعود إلى مسارها ، تتعلّم كيف تدافع عن نفسها ، كيف تتحدّى ضعفها وصغر حجمها ، تتعرّض للخيبة ثم يعود الأمل فجأة ، لتواصل طريقها بشجاعة ، تبحث عن الحريّة ، عن العيش بسلام ، تواجه المظاهر الكاذبة ، تخشى أن تقع قبضة في يد تلك الأزهار الوحشية ، التي تظهر جمالها للعالم ، وفي قلبها شوق ورغبة لتلتهم الحشرات والمخلوقات الضّعيفة ، تبحث فقط عن مصدر الأمان ، وتلجأ إلى العطف والحنان ...

أنا الآن ، مجرّد طالبة ، أتعلّم وربّما لست جديرة أن أعلّم ، لكن ... إذا كنت واثقة من أنّ تفكيري صائب ، فما الحاجة لأخفيه ؟ مادام الأدب فتح لي المجال إلى عالمه ، وترك لي حرّية التّعبير ، فلماذا لا أستغلّ هذا الحق ؟ بغضّ النظّر عن جسمي ، عن ملامحي وتفاصيل وجهي ، عن أفكاري السّاذجة وتصرّفاتي الغبيّة ، وعن روحي الطّفوليّة ، فباطني يختلف كثيرا ، أنا فتاة ذو طموح كبير ، أؤمن بقدراتي كثيرا ، وأعبر عنها بكلّ فخر ، سأطوّرها ولن أسمح لها أن ترحل هباءً ، سأجعل منها صورة ترسم شخصّيتي ، وسأعتزّ بها ، أنا لا أعي تماما مالذي أتفوّه به ، ومالذي قلته قبل قليل ، فأنا أكتب ما يجول في خاطري لتلك اللّحظة ،

أسمح لأفكاري بالعبور من أعماقي لتظهر وتقابل الواقع وجها لوجه ، يجب أن تظهر نفسها ، عليها التحلّي بالشّجاعة ، فإن كانت منطقيّة وصادقة ، إن كانت فعلا أفكارا صادرة من قلب صادق ، فلم الخوف ، ولماذا تستمرّ بالاختباء ؟

مع هذا ، ساترك الأمور للمختصّين بها ، فبأيّ حقّ أسرق الأضواء من الذين هم أحقّ بها ، سأعود مجددا ، بعد أنا اكسب زادا كافيا ، بعد أن أتفرّغ لأرسّخ معجم اللّغة في ذهني ، بعد ان أقرأ تجارب السّابقين ، ذوي العقول الراجحة ، والأدمغة النّيرة ، أولئك الذين سخرّوا قلوبهم وحبّهم للأدب ، ومنحوا لغة القرآن حقّها ، أولئك الذين لم يترددّوا لحظة في مشاركة رواياتهم وقصصهم ، لتكون عبرة لمن يعتبر ، أولئك الذين ألفوا قصصا وأساطيرا ، تحت جناح الواقع ، فقط ليبيروا طريق الضال ، يبرزوا للتائه طريقه لمنزله ، أولئك الذين سردوا أحداث الإسلام والمسلمين ، سردوا أحداثا وقعت في الماضي ، كيف للحق أن ينتصر على الباطل ، نقلوا حقائق ماكنّا لندركها لولاهم ..... لقد جعلوا العالم بأسره في قرية ، ولمّوا شمل القرون في دقائق معدودة ، نقلوا لنا حقائق كنا سنجهلها ، لولا تلك الصّفحات التي سخّروها لحملها ...

سأعود بعد رحلتي هذه ، مع العلم أنّها لن تنتهي ، لأواصل هذا الطّريق الذي اخترته ، لن أملّ من مخاطبة أوراقي ، ولن أمّل من إمساك قلمي، لن أتوقّف عن محادثتي لنفسي كالمجانين ، وهل صدّقتم أنّني مجنونة ، أعني ذاك الحوار الدّاخلي ، الذي أجريه في صمت مع ذاتي لأصلحها ، لن أتوقّف مادمت سعيدة ، كلّ ما يجعلني أبتسم ، كلّ ما يجبر كسري ، ويريح أعصابي ، كلّ شيء أستمتع به ، سأظلّ أعشقه ولا اهتم للقيل والقال.

أمّا الآن ... لماذا لا أواصل الأحداث الموالية ، أنا أؤمن بالحب ، ولا أكذّبه ، لكنّني أجهل مكانه ، لذلك من الأفضل لي أن لا أبحث عنه ، ولا أدعه يقترب منّي ، كي لا أخطئ في التّقدير...

لست بحاجة لرجل كي أكون متميّزة ، كي أعيش حياة مثاليّة ، مهما يكن ، حتّى لو دعوتموني بالمتناقضة ، فقبل قليل كذّبت من قال أنّه يستطيع العيش بلا نصفه الثّاني ، أعلم جيّدا ، قلت هذا ،قلت بأنّه أمر خاطئ ، ولكن حتّى نرى الأمور بشكل جيّد ، إن لم يكن هذا الشّخص صائبا ، إن لم يكن حقيقيا ، إن لم يكن كما وصفته سابقا ، فلا داعي له !

أنا الآن ... أستطيع بناء نفسي بنفسي ، أستطيع أن أعيش مرتاحة

وسعيدة ، لأنّني تركت تلك الأمور التي كانت تغيّر روتيني، الانتظار ، الاشتياق ، الأوهام والتخيّلات ، الأحلام الزّائفة ، الأسئلة السّاذجة ..... تركت كلّ هذه الأمور بعد أن أدركت خطئي ، وبرد قلبي اتجاهه و تجاه غيره ، لم أعد أفكّر بتلك الأمور، لا بالحب ، ولا بقلبي ، أعجبتني حياتي كما هي ، فتاة في عمري من الأجدر لها أن تواصل تقدّمها، أن تهتم بدراستها وتفوّقها ، أن تسعى لتحقيق أهدافها وأحلامها ، فتاة تستغلّ مواهبها ، تلهو وتمرح ، تلعب في أوقات فراغها ، تهتم بجمالها ومظهرها لطبيعتها كأنثى ، تحبّ أسرتها وتمنحهم الثّقة والأمان ... لا أفضل من هذا الشّعور ، خير من أن أواصل تعلّقي بذاك الشّخص ، فكلّما طال الحال ، تعلّقت أكثر ، وأحببت أكثر ، وانتظرت أكثر ..... وكان الفراق أصعب ، والألم أكبر ...

الآن أعيش حياتي كما يجب أن تكون ، فتاة طبيعيّة ، فقد شغلت نفسي بأمور تكبرني سنّا . عندما أتكلّم عن الحب ، فلا يصحّ أن أربطه بسن المراهقة ، فالكثير من الأمور تخفى علينا في هذا السّن ، ليس بالضّرورة أن يكون هذا الحبّ حقيقيا ، رغما عن كوني بالغة في عقلي وأعلم هذا جيّدا ، رغم أنّني قرأت مكتبة بأكملها لكتب السّابقين ، لذوي الخبرة ،

رغم أنّني أملك رصيدا ثقافيا لا بأس به ، بحثت بنفسي عن الحقائق ، قرأت كتاب وجوه الحب السّبعة ، قرأت كتب أدهم الشّرقاوي والكثير من الأدباء أمثاله ، حملت الأمر على محمل الجد لا لهدف التّسلية ، لكن يمكن أنّني لازلت أجهل معناه ، يمكن أن كثيرا من الحقائق لازالت غامضة ، لم تتضح لي بعد ، ويمكنكم قول أنّني لا أفقه شيئا ....

لكنّ ما أعرفه ، هو أن هذا الشّيء المسمّى بالحب ، لا يملك وصفا يليق به ، سوى خليط غير متجانس من المشاعر والأحاسيس ، ليس سوى أمر روحاني يصل بين القلوب ، لكنّه وكما نعلم ، كل شيء وجد على ظهر هذا الكوكب ، مهما بلغ حجمه أو قيمته ، أيّن يكن ، فله حتما وجهان، جانب مشرق وجانب مظلم ، شيء جيّد ايجابي ، والاخر سلبي ، فكما يمكن للحب أن يكون ملَكا رحيما .... يمكن أن يكون شيطانا رجيما ، كما للحب القدرة على إحياء شبه الموتى .... يمكن أن يحفر قبرا لروح حيّة ، الحبّ موجود دائما ..... لكن هل الصّدق موجود ؟ هل الأمان موجود؟ هل الثّقة موجودة ؟ هل بالضّرورة أن يبادلك ذاك الشّخص نفس الشّعور ؟ وهل بالضّرورة ستصادف مع من يحمل صفات قلبك ؟..... هذه حقائق يجب أن نؤمن بها رغما عنّا ، فإن كان أداة للبناء ، بإمكانه

أن يصبح سلاحا للتدمير ، عندما يقع هذا البريء في يد أشخاص عديمي الرّحمة ، ذوي التّفكير المحدود ، لا يضعون قيمة له ، فيتلاعبون به كما يشاءون ، ويتّخذونه سخريا ... عندما يصادف قلوبا فولاذية ، عندما يفرض نفسه على عقول متخلّفة ، عندما يقع في قبضة مجرم ، ماذا تتوقّعون منه أن يصبح ؟ نحن من لوثّنا طهارته ، نحن من أفسدنا منظره، جعلنا منه شيئا سيئا يغزو المجتمع ، جعلنا منه سبيلا إلى طريق الهاوية ، إلى الذّنوب والمعصية ، جعلنا منه إحساسا تتلاعب به الأيدي، رغم أنه خلق ليدركه القلب ، شوّهنا سمعته ، أحطنا بقيمته ، حوّلنا رداءه الأبيض النّاصع ، إلى سواد ما بعده سواد ، جعلنا منه أضحوكة في نظر بعض البشر ، سلكنا به الطّريق إلى الجحيم ، ثمّ نتساءل عن سبب الإشاعة التي تقول" الحب حرام"

هل ذُكر على مسمعك .... ليحبّ المرء ويتخذ عشيقا للقلب ، أن يفعل تلك الأفعال ؟ والله أبدا ، الحبّ يبدأ من الأسرة ، بين الأبوين والأبناء ، ثمّ بين العائلة ، ثمّ نكبر فنشاركه الجيران والأصدقاء ، ثمّ نبحث عن نصفنا الثّاني ، نبحث عن الحبّ الآخر.... فلو أنّنا تعلّمنا جيّدا معنا هذه الغريزة ، لو أدركنا قيمتها ومعناها من أول أيّامنا ، كيف تسهر الأم

وتضحّي لراحة زوجها وأولادها ، كيف يتعب الأب ليلبّي مطالب أسرته، كيف يجتمع الأبناء في حضن الأبوين ، تحت سقف السّعادة ، يتبادلون الحديث بمحبّة ويتشاركون تلك الأوقات الجميلة ، كيف يبني الوالدان علاقتهما على الثّقة ، نحن ندرك جيّدا أن الطّفل بصغر سنّه هو أكثر شيء يمكننا الخوف منه ، ليست ذاكرته سوى صفحات بيضاء ... تتلوّث بتلك الأفكار المشتّتة وتنعكس عليه حينما ينضج ، لذا ، علاقة الحبّ الحقيقيّة تبدأ من هنا ، من حضن والدين ، وحنان الأخوّة ، لابد أن تنشأ على الثّقة المتبادلة ، على الاحترام ، على العاطفة ، وخير دستور لنا كتبانا المقدّس ، وخير معلّم لنا خاتم الأنبياء عليه أزكى الصّلاة والسّلام ، وخير هاد لنا ربّ السّماوات والأرض ، فلو بنينا العلاقات على هذا النّحو ... يخرج الطّفل إلى المجتمع بنظرته تلك ، والتي لن تتغيّر، لأنّه تربّى على هذا الأساس ، ولن يتخلّى عن مبادئه ...

ثمّ بعد هذا ، أيّ بعد البلوغ ، ولاسيما فترة المراهقة ، نواجه نوعا آخر من الحب ، لا يختلف عن سابقه ، لكن هذه المرّة مع الجنس الآخر ، غريزة فطرية ، لكنّها ستكون أصعب فترة لدى الكثير...

ربّما ولأسباب كالتي ذكرتها ، نجهل معنى الحبّ ، فنخلُق ذلك الجوّ

لأنفسنا بأيدينا ، ندير الأمور بزاوية مائلة بشكل كبير .... ونرسم من أوهامنا واعتقاداتنا صورة ، نصرّ على تجسيدها في ارض الواقع ، وليس لها وجود أصلا. ربّما بمجرّد نبضة ينبضها قلبك ، لأنّك كنت قلقا ، أو لدافع الإرهاق ، ربما مجرّد شعور عادي .... لكنّنا نجعل لها معنى آخر ... هذا لأنّنا نهتم كثيرا للقيل والقال عن هذا الشيء ، فلا نعطي وقتا لنحقق السّلام الدّاخلي لأنفسنا ، لا نترك لذاتنا أن تبرز نفسها ، أن تتطوّر وتسعى إلى أهدافها ، لا نتفرّغ لفهم لغتنا الدّاخلية الخاصّة بنا ، فكيف لنا أن نعيّن المشاكل الذي يواجهها كياننا ، وهل حلول تلك المشاكل رزق من السّماء .... تأتي بلا مقابل !

ربّما نفعل ذلك بدافع التّجربة ، أو لكي نكتشف ماذا يوجد خلف تلك الأقوال والمظاهر التي نسمعها ، نريد أن نعرف الحقيقة ، ونجرّب هذا الشّعور ، أي نحاول أن نزيح الإبهام والغموض ، فننسى للحظة مبادئنا . مثلا ، بكوني في مرحلة النّضج ، ما بين البالغ والطّفل ، فعقلي ليس مهيّئا بعد ، ليس لأنّني لازلت طفلة ، ليس لأنّني في عمر متقدّم ، بل لأنّني لم أعط الفرصة لنفسي لأكونها ، ولم أمنح وقتا لعقلي كي أضعف أهدافا وأفكّر بجديّة ، وأنا بهذا أضرب المثل لا غير ، فأنا في كلّ حال

أثق بنفسي كثيرا .... لأواصل كلامي ، بدل أن تشغل نفسك بتجارب الحبّ التي تروى لك ، التي ينطقها الجهالى بأفواههم ولا يدركون شيئا مما يعايشونه ، وأعني بكلامي الذكر والأنثى ، ما ينطبق عليك ينطبق عليها ، حسنا ، بدل ذلك ، ابحث في داخلك ، عن المعنى الأصح لهذا المصطلح ، اسأل قلبك وهذا من اختصاصه ، سيجيب ، وبكلّ سرور ، لا تسأل المخلوقات أمثالك ، بل اسأل العقول الرّاجحة ، ثمّ وبعد هذا ، ستدرك أنّ كلّ شيء ينبع من القلب ، وستدرك أنّ الصّدق أهم شيء ، ثمّ لا تنخدع بالمظاهر ، بل لا تهتم بها أصلا ، امض وقتا كافيا مع نفسك ، وفكّر كيف تتمنى أن يكون شريك حياتك ، يشاركك أخلاقك صفاتك ، مبادئك وقيمك ، يشاركك طموحك سعادتك حزنك وفرحك .....

هكذا ستهيأ قلبك ليختار الأصدق ، وستدلّ عقلك ليختار الشّخص الأنسب ، بحيث لن تحظى بقلبه فقط ، فعندما تلتقي ذاك الشّخص ، ستفتح له أبوابك تلقائيا ، وستتأكد من أنّه الشّخص المناسب !

لن أطيل كثيرا ... فأنا لم أفتح هذا الغلاف لأشرح لكم معنى الحب ، ولا لأخبركم عنه ... فتحته لغاية واحدة ، أن أخفف الثّقل على جسدي ، أن أحرّر تلك الأفكار من زنزانة ذاكرتي ، أن أزيح الهمّ من قلبي ، أردت أن

أرتاح من الأمور التي أفقدتني توازني ، من الأشياء التي أنهكتني بلا داع ، فأنا حقا ... بالغت كثيرا في تقدير الأمور، بالغت في ردّة فعلي ، وكأنّني مللت السّعادة وناديت الحزن ليؤنسني ، وكأنّني سئمت من النّور واشتهيت الظّلام ...

أخاطبك يا أوراقي ... أزلتِ كلّ طاقتي السّلبية ، واستنشقتها فشكرا لكِ ، أنت حقا أوفى صديقة لديّ ، لازلت تملكين القدرة على تحمّلي وقد أثقلت عليك بالفعل ...

سأترككم هنا ... لأعود إليكم بقصّة ثانية ، وتجربة جديدة .... كما تعلمون في بعض الأحيان لا تنفع اللّكمة الأولى التي نتلقّاها ، وقد نحتاج إلى أخرى ، وان لزم الأمر ...ربّما أكثر !

أمّا رسالتي التي أوجّهها لمن هم مثلي ... الحياة تجارب ، ومن التّجارب نتعلّم ، منذ ولادتك إلى مماتك ، ستخطئ حتما ، ستتعثّر وتسقط فالقاع أكثر من مرّة ، وان نهضت ستواصل السّقوط ...

ستحزن .... ثمّ يحنّ الله عليك فيسعدك ، ستفقد ....ثمّ ربّ العرش يعوّضك ، ستفشل... ثمّ ستنير لك طريقك إلى النجاح ، وربّما ستخسر ... ثمّ ترزق بالفلاح ، ستقابل أناسا... يحبّونك بصدق ،

وستقابل ذئابا.... بثوب الرّفق ، ستتعرّف على الصّديق والمنافق ،وستُميّز الكاذب من الصّادق ...

سيأتي إليك الحب برجليه ... وفي الطّريق إليك ، ربّما يتأذي ، إذا صادف الخيانة والكذب والخداع ... قد لا ينجو ، وسيصل إليك ملوثا! وربّما ، هو الكره بعينه ،قد يأتي بلباس الحب ، لا يهدف سوى لتحطيمك .. لكسر قلبك .. لتصبح ثوبا رثًّا !

لا تجعل من أخطائك سببا يدمّرك ، اجعلها حافزا لك ، يدفعك نحو الأمام ... لتواصل طريقك في سلام .

إليك يامن تقرنني سنا ، أثقلت عليك الحياة ، وقفت عاجزا أمام مشاعرك المبعثرة ، ربّما ما مررتُ به لا يقارن شيئا بك ، فأنا كنتُ في كلّ الحالات فتاة واعية ، تحكّمت في نفسي و لازلت كذلك ، فأنا وضعت كلّ شيء في رأسي ، وحسبت حسابا له ، ولن أدمّر حياتي بسبب لعبة لن تطول ، ومهما طالت فالنّتيجة محتومة ، وأكبر نسبة سأكون الخاسر ! فلست بالغة لأدرك مصلحتي جيّدا ، ولا ليفكّر عقلي بحكمة ، وقد أصير دمية في يد مشاعري ، لذا ... وضعت حدا أقسمت أن لا أجاوزه ...

اسمعني جيّدا ، قبل أن تبحث عن الحب ، في قلب غريب ، ابحث عنه في قلبك ، وابدأ بحبّ نفسك ..

أحب ربّك فلا تعصه ، ودينك فلا تخالفه ، أحب سيّد الخلق الذي بعث ليكون معلما لك ، وأعني لنا ولك ، بالغ في حبّه فاتّبع سنّته ...

أحبّ الأحضان التي ترعرعت بها ، أحبّ البشريّان اللذان أهداك الله ايّاهما ، أمّك ، التي حملتك وأرضعتك و أحبّتك ومنحتك اهتماما أكثر من اهتمامها بنفسها ، وأباك الذي رباك وحماك وصانك وفعل المستحيل لأجلك ، أحبّهما حبّا جمّا ...

لا تضمر الكره لأحد ، وامنح الحبّ تنله، امنحه لكلّ من حولك ، المحسن منهم و المسيء ، لا تحط من مكانتك وابق في القمّة ، لا تنحنِ فتصبح منهم ، فمهما يكن .. لن يبلغوا ما بلغته ، بقلوبهم الملوّثة !

ولكن قبل كلّ شيء ، كن عاشقا لنفسك ، إذا منحت ذاتك القدر الكافي من الحبّ والاهتمام ، فكلّ هذا سيحدث تلقائيا وبلا تقرير منك، اجعل نفسك مصدر حياتك ولا تربطها بشخص غريب لا ينتمي لجسدك وروحك ، هذا عالمك الخاص ، هل تفهم ، أنت حاكمه وخادمه ، أنت العضو الرّئيسي والوحيد في تقدّمه ، أنت ركيزته ، فإن غاب حبّك

لنفسك ، غابت الثّقة ، وان غابت الثّقة اختفت القدرة ، وفي الأخير ستبقى عاجزا أمام واقعك ، أمام حياتك وتصرّفاتك وأقوالك و أفعالك ، ستصبح شاهدا يراقب الأمور من بعد ، وينتظر للعقدة أن تنفك ، وأنّى لها ذلك ويداك مربوطتان بحبال حديديّة ، فكّ القيد وانطلق ..

امنح وقتا كافيا تحاور فيه نفسك ، تناقش أخطاءك وتصحّحها بدهائك ، اطرح سؤالا وجد الجواب بنفسك ولا تنتظر هذا من أحد ، كن لنفسك كلّ شيء ، المحفّز والمفكّر والمدبّر والمسيطر ، كن حرا لا سجينا، حاكما لا عبدا ، افرض نفسك في ساحة المعركة التي يخوضها عقلك ، وارم بتلك الأفكار السّلبية إلى الجحيم ، اسعى للتطوير ، وردد هذا معي، سأطوّر نفسي بنفسي ، وأنمّي ثقتي و أزرع الطّموح في قلبي ، سأجعل من نفسي بطلا ، سأكون عظيما ، ناجحا ، لا فاشلا .... سأكون كما أريد !

بعد أن تدرك هذه الأمور ، بعد أن يتّضح طريقك ، وبعد أن تتقن لغات الحياة بأكملها ، سيتّضح الغموض ، وستدرك باطن الأشياء من نظرتك الأولى ، هنا ... افتح باب قلبك لمن يستحقّ ، وبالفعل ستكون أدركت الحقيقة ، تذكّر جيّدا .. لست في لعبة الكترونية ، تفقد

محاولة فتنتقل إلى أخرى ، تموت فتشتري ترياقا يحييك ، أو تعيد اللعبة من جديد ، أنت الآن .... في قبضة شيء يسمّى الحياة ، تمنح لك محاولة واحدة ، تنفخ فيك الرّوح لتجرّب ، تسلبها منك متى أرادت ذلك، لتستقبل هاويا آخر ، وتكرّر المشهد. لهذا عشها بطريقتك ، باختيارك ، بما ترضى به لنفسك ، واختر شريك حياتك بعناية ، اختر من يشاركك فرحك وحزنك ، من يتّحد معك ليلوّن لك العالم إن بدا مظلما ، من يرسم لك أحلامك على السّقف لتتطّلع عليها قبل نومك ، فيزيد عزمك وإصرارك... في بعض الأحيان ، قد يكون من الأجدر بك ، أن لا تتبع قلبك فقط، لذا كن مع الذي يحبّك ويبادلك ذات الشّعور ، فالعيش تحت جناح الحب من طرف واحد مستحيل ، بل هو مجرّد لعبة انتحار لا غير.

اختر من يناسب مقاس قلبك ، من يسدّ الفراغ الذي في داخلك ، من لا يمل من مشاهدة الابتسامة على شفتيك ، والتأمل في تفاصيل وجهك اختر من يوازي تفكيرك ، من يحمل صفاتك ، من يصحّح أخطاءك ... بمعنى آخر ... اختر من يستحقّ حبّك وبجدارة ، ولا تتسرّع في الاختيار ، فكّر في ذلك فقط ...عندما تدرك الحياة جيّدا ، وتغذّي عقلك كما يجب ، وتفهم نفسك ، وتعرف ما يريده قلبك !

كلام سأختم به ... لأغلق هذا الكتاب وأفتح الذي يليه
كل حرف كتبته ، نابع من قلبي ، لم يكن في وصفي مبالغة ، بل هو الواقع ...عندما أخضع لأوّل تجربة لي في مجال جديد لا يخصّني ، لم أفكّر فيه من قبل ، ولم أتعمّق فيه ، فقط بنبضة قلب ونظرة عين دخلت في دوّامة لم أخرج منها سالمة..
فقد فقدت العديد من الأشياء خلال هذه التّجربة ، انفصلت أجزائي ، وتحطّمت بالفعل ، دخلت عالم الاكتئاب الذي لم أسمع عنه قبل هذا الوقت ، وعشت ألما لا يقارن بشيء ، كلّ هذا بسبب صدمة نفسية تعرّضت لها ولم ، أكن بانتظارها ، بسبب لحظة يظنّ فيها الإنسان أنّه امتلك الدّنيا ومافيها ، ثمّ يفرّ هاربا من واقعه ، بعد أن تآكل قلبه من وجع الفقد الوهمي ، لم أكن باستعداد لأواجهها ، فحدث ماحدث.أدركت أنّني شغلت نفسي بأمور لا تخصّني ، واقتربت من قلوب ليست من حقّي ، ثمّ إنّ الوقت مبكّر جدا لخوض هذا النّوع من التّجارب لأكون صادقة ، أثناء عزلتي ، أثناء خيبتي وضعفي ، فتحت المجال لنفسي أن تطلق عنانها ، تركت لها الحريّة بأن تتحدّث ، استمعت لقلبي ، تفرّغت لعقلي وأسلوب تفكيري، فأدركت أشياء كثيرة كنت أجهلها ، ورأيت الصّور التي كنت في عمى عن رؤيتها ، فهمت ، تعلّمت ، تطوّرت أعدت تمالك نفسي وبنيتها من جديد ، وضعت أهدافا وقائمة لأمور عاهدت نفسي أن لا تتكرّر ، فلربّما هذا خير لي ، ربّما لم أكن لأدرك كلّ هذا لولا هذه التّجربة التي ضننتها نهايتي ، فأنا الآن أخجل حقا من بكائي في موقف لا يستحقّ التّقدير ...!